إلى القارئ

الثقافة والعنف

بقلم : البشير بن سلامة

نظمت وزارة الشؤون الثقافية من 16 الى 20 ماى 1984 بالمركز الثقافى الدولى بالحمامات ندوة عالمية بعنوان « الثقافة والعنف » وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والجامعيين والاخصائيين وممثلين عن الوزارات والمؤسسات القومية والجمعيات الثقافية والعلمية ومؤسسات التكوين ومراكز البحث العلمى ، وكانت الندوة فرصة لمعرفة تجارب بلدان متعددة من المغرب العربى وأوربا والولايات المتحدة الامريكية وكندا .

ولقد أعدت هذه الندوة منذ أكثر من عام وسبقها اجتماع تحضيرى تم فيه أعداد الوثائق وأسماء المشاركين والطريقة الواجب توخيها حتى لا تفضى الندوة الى مجرد آراء وأفكار وتحليلات لا يمكن فيما بعد استغلالها عمليا .

ولهذا ارتكزت الندوة على نوعين من الاعمال : المداخلات المستفيضة والورشات التى كانت العنصر الطريف والعملى المفضى الى نتائج ملموسة لا تخرج عن عنوان الندوة . وفى الورشات الخمس درست علاقة العنف بالتربية وبالتظاهرات الجماعية ووسائل الاعلام والفضاء العمرانى والمؤسسات .

وإن أهم ما فى هذه الندوة هو أنها خرجت بتوصيات واضحة وعملية يجدر التعريف بها ومتابعة تطبيقها فى مؤسساتنا المختلفة حتى تكون شائعة بين كل المواطنين وحتى نتوصل الى جعل كل فئات المجتمع سواء فى تونس أو غيرها

من بلدان العالم واعية بان العنف كان ولا يزال هو الآفة التى تهدد المجتمعات وتحول العالم الى جحيم لا يطاق .

ذلك أن ما جبل عليه الانسان من شعور طبيعى لفرض سيطرته على ما حوله وإبراز قدرته على تغيير محيطه يتطلب منه سواء فى أول الخليقة أو فى حاضر الناس الآن نزوع الى العدوان يتجسم فى العنف بأنواعه وضروبه . وإن تاريخ الانسانية محفوف بمخاطر العنف رغم ما جاءت به الاديان من ضرورة تحويل هذه الطاقة - الموجودة فى الانسان والنازعة الى التأثير على ما حوله والسيطرة عليه - الى قوة قوامها الخير وحافزها الرفق وقد جاء فى القرآن الكريم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » وقيل : إن الله تعالى يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف . ولهذا اقترن الرفق بالخير وارتبط العنف بالشر .

ولكن تعقد حياة البشر وتشعب ظروف العيش جعلت المجتمعات والافراد تنساق الى ضروب من المواقف العنيفة وتنزع الى أنواع من السلوك العنيف مما جرها الى عدم إدراك الحد الفاصل بين الخير والشر والرفق والعنف .

ولعل التوصيات التى صدرت عن هذه الندوة من شانها أن تفتح الأعين على مظاهر تبدو بريئة أو لا غبار عليها بينما هى تكون إما سببا فى ظهور العنف أو عاملا على تفشيه . ولذلك فان ما سأجمله فى هذه الصفحات القليلة من التوصيات الصادرة عن الورشات هو فى حد ذاته يعد وصفا وتحليلا لظاهرة العنف وكذلك بتلافيه وتحويله الى طاقة خيرة .

ففى مجال التربية اتجهت التوصيات الى تحليل موضوع الشباب والى تحميل وزارة الشؤون الثقافية مسؤولية تبليغ المجتمع وخاصة الشباب رسالة ملؤها الامل فى المستقبل والشعور بالكرامة والعزة . وأن أهم فكرة يجب التركيز عليها هو جعل المواطنين يعون حدود امكاناتهم وامكانات المجتمع الذى يعيشون فيه اذ ان الفرد الذى لا يشعر بحدود قدراته ينساق الى الرضى بقصر نظرته والاخلاد الى حدود ذهنه المكدود كما أن الذى يجهل

امكاناته يغرق بسهولة فى بحر الاستسلام بينما المطلوب هو أن ينمي ما فى البشر من قدرة على الفعل وطاقة على الصواب والتصويبللوصول الى هذا الذى يمكن الفرد من التطور والتقدم .

ولهذا يتعين تحليل انماط عيشنا والتعمق فى مواقف مجتمعنا من التعليم وتكوين الاولياء تكوينا عمليا واحداث المراكز الطبية المدرسية والجمعيات المعتنية بالاسرة وبعث لجنة تبحث فى نظرة بيداغوجية مجددة واعادة تنظيم الهياكل المدرسية وتعديد الاماكن التى بفضلها يجد الكبار والصغار الفرصة للتثقف والترفيه .

أما فيما يخص توصيات ورشة الفضاء العمرانى فان الشأن يدعو الى ضبط سياسة عمرانية تحد من تضخم المدن حتى تعطى للاحياء امكانية التواصل والترابط وتضمن للاماكن القديمة الحياة وتعطى للعمل الثقافى القدرة على احياء التراث والوعي بالمحيط والحد من الاستلاب الثقافى .

وفيما يتعلق بورشة وسائل الاعلام فان التوصيات كانت غزيرة تحوم كلها حول الوصول الى طريقة تمكن كل الفئات من فهم مظاهر العنف والتخفيف منها وتكوين حصانة فى الفرد تجعله لا ينساق بسهولة الى التقليد أو الرضى بما يشاهده ويستمع اليه .

وهكذا يمكن القول بأن هذه الندوة كانت مناسبة جمعت فيها حصيلة هامة من المعلومات ومن التحاليل والتوصيات جديرة بأن يتعرف اليها كل المواطنين وهى عندما تنشر وتكون ميسورة لدى كل الهياكل والمؤسسات ستكون مادة ثرية للتطبيق والخروج من حيز النظر الى حيز الفعل .

واذا كان من العسير الآن أن تكون ميدانا للتطبيق من طرف المؤسسات فان الخلاقين والمنتجين الثقافيين مدعوون الى مقاومة هذه الآفة سواء بالقلم أو بالريشة أو النغم أو الصورة وهى مجالات فيها تاثير على المواطن وصقل لذهنه وترقية لمشاعره وترقيق لأحاسيسه وسمو بعواطفه وبها يمكن مقاومة العنف وصرف طاقات المواطن الى كل ما فيه خير الفرد والمجتمع .

ولعله يحسن ـ انطلاقا من هذه الندوة وتطبيقا لتوصياتها ـ التفكير فى محتوى العمل الثقافى : ما هى الاغراض التى يجب التأكيد عليها دون غيرها وما هى الارضية الواجب الاتفاق عليها لمجابهة سلبيات المجتمع والى أين يتجه مسرحنا وبرامجنا التلفزية والاذاعية وهل من الواجب أن نخطط لمراحل أساليب تثقيفنا حتى نعالج آفات مجتمعنا شيئا شيئا وبدون رجات وزلازل ؟

وفى الواقع فان النظر فى محتوى العمل الثقافى يقتضى الاتفاق على ميثاق شرف تلتقى على صعيده كل الطاقات الخلاقة وتلتزم به لتكون فى مستوى الرسالة الحضارية التى يجب أن يؤمن بها كل مثقف جدير بهذه التسمية عزوف عن المهاترات رافض لكل ضروب العسف والعنف .

وهكذا يكون من الواجب عقد ندوة هامة تنظر فى محتوى العمل الثقافى وفى الميثاق الذى يمكن للمثقفين ابرامه بينهم حتى نصل الى الاهداف المتفق عليها .

البشير بن سلامة

انا والقصيدة

بقلم : أحمد اللغماني

— 1 —

انا — حين ابتدعُ القصيدة — لا أُفكر في العواقبْ :
في ما تجرّ من الخسَارةِ ،
أو تفيد من المكاسبْ .
أنا لا أفكر في رضاء المُعجبيـن بها ،
ولا في سخط غاضِبْ .
أنا حين ابتدعُ القصيدة ...
أُفرِغُ الآناء والأنحاءَ من حـوْلي ،
كأنّي في سكون الدّير راهبْ :
استَقطِـرُ الخلجات من لبّ الضّمير ،
كرشّة الأنـْداء صافيـةً ،
فلا خلط يَشينُ ولا شـوائِبْ .
أنا هـكذا .. !
وكذا تـكون قصائـدي .
فإن اكتسبتُ رضاءَ قرّائي فيَا أهـلاً !!!
وإن سَخَطـوا فإنّي اسفٌ ،

« واللهُ غالبْ » .
أنا — حينَ ابتدعُ القَصيدةْ — أجمعُ الدنيا على وَرَقي ،
وأُنزلُ من مسابحها الكواكبْ .

— 2 —

أنا — حينَ تملكني القصيدةُ — ابسط الكفّين مُبتهلا ،
وأدعو الله — جلّ جلالهُ — الاّ يَفُكَ سَلاسلي .
أنا — حين تملكني القصيدةُ —
أحمَدُ الله الكريمَ على نعائمه ،
وأدعوهُ ليُبقيَني على رِقّي ،
وقيدِ سلاسلي .
أنا — حينَ تملكني القصيدةُ —
استعيض مدارجي بماسح من ذَوب ياقوتٍ ،
وضوءٍ سائلٍ ،
وتظلّ نجوايَ انصهارَ الرّوح في الرّوح ،
وذوب الذاتِ في الذّاتِ ،
ولُقيا التربةِ العطشَى بغيثٍ هاطل .
أنا — حينَ تدعوني القصيدةُ —
استجيبُ لها بحرقِ مَسَافتي ،
وبنَهبِ أبعادي ،
وطي مراحلي .
لا أمرَ الاّ أمرُها ،
لا نهي الاّ نهيُها ،

ولرُبّما كانتْ كرَامَةَ مُكرِمِي ،
ولرُبّما كانتْ قذيفةَ قاتِلي .

— 3 —

يا قارئِي !
انْ كنتَ صاحِبَ مبدإٍ ،
فبأيِ حقّ تستبيحُ عقيدتِي ؟
وبأيِ أخلاقٍ تُهينُ مَبَادئِي ؟
لي — مثل أيِ مواطن — حقّ الخيارِ :
فإن أشأ أُبحرْ على مَوج المُحيطِ ...
وانْ أشأْ ألجأْ لحضن مرَافئِي .
أنا هكذا ... !
أنا خارجٌ عنْ منطق المعهودِ ،
والزّمن الرّتيبِ الهادىء .
أنا هكذا .. !
وكذا تكون قصائِدي :
فهي المَرَايَا :
فوْقَ صفحتِها تَلوحُ مَحَاسِنِي ومساوئِي .
فقصائِدي صُورٌ لأفكارِي ،
وخط السّير في عُمُرِي ،
وأخلاقِي ، وكلّ مبادئِي .
هي صورةٌ منّي ، بما قد خصّني ربّي بهِ ،
وكما برَانِي بارئِي .

— 4 —

وتظلّ تنْتقِدُ التضاريس التِي ملأتْ كِتابَاتِي

فأرستْ هَهُنَا الآكامَ ،
واحتفرتْ هناكَ مجاريـًا ووِهَادًا .
وتظـلّ تنْتَقِـدُ التّناقض :
كيفَ – في شعري – أُزَاوِجُ بينَ خاطرتَيْنِ نافرتَيْنِ .
كيف أُؤلفُ الأضدادا ؟
كيفَ القصيدَةُ تستقيمُ ؟
كيفَ تُقرَأُ ؟
حينَ تفترقُ الخواطرُ ،
حينَ تختلفُ الكِتابَةُ ريشةً ومِـدَدًا ؟
بَيْنَا يكونُ البَيْتُ عَصْفا عاصِفا ،
ويكون قصفا قاصِفا ...
تُلفيـه في فلكٍ من الأفلاك ...
مُتّسقَ الخُطا ، مُنقَادًا .
كيفَ القصيدَةُ تستقيمُ لمنطقٍ ؟
وبأي شكلٍ تُقنعُ النّقَادَا ؟

— 5 —

يا ناقِـدي !
إنّ القصيدَةَ حالةٌ نفسيّةٌ من صُنع أيّامِي ،
وأيّامِي تمرّ بصالح – في مرّها – وبِفاسِدِ
والعُمْـرُ أحْوَالٌ ،
ومن ينبوع أحوَالي تفورُ قصائِدي .
أنَا لا أُكيِّفُ بيتَ شِعرٍ واحِدٍ بالظرْفِ ،
بالطقس المُحيط ،

وبالمناخ السّائـد .
أنا لم أُقيّدْ قطّ قافيةً ،
ولم أبتُرْ جناحَ قصيدةٍ كي لا تفيض عن الحدودِ ...
بموقفٍ صلبٍ ، ورأيٍ ماردٍ .
أنا لا أُهنْدِس بالمقاس كتابتي ...
حَذَرَ الوُشاة ، وخوفَ كيْدِ الكائدِ .
أنا لا أُخطط خُطتي بالمنطق الحجري ،
والفكر الرزين البَاردِ .
أنا لا أُراوغُ ، لا أُناورْ ،
أنا لا أُقايض ، لا أُرابي ، لا أُتاجرْ .
أنا لستُ إلا شاعرا يا ناقدي !
وطبيعةُ الشّعرِ العطاءُ بلا حِسابٍ ،
دون تقدير لربحٍ عائدٍ ،
أنا شاعـرٌ ! يا ناقـدي !
وقصيدتي ليستْ تَوَهّمَ واهِم ،
ليستْ تَخيُّلَ حالِم .
هي طعنةُ السّكين في لبّ الحقَارة ، والقَذارَة ،
وهي إعدامُ انحطاطٍ ، واغتيالُ مفاسدِ .
ولربّما لانَتْ فكانتْ نسمة بَحْرِيةً ...
تتدَاحُ فوْقَ مفاوزٍ ، وفدَافدِ .
فأنا أنا ... دوْماً أنا ... بِمَسَاوِئي ومَحامِدي .
إنْ شئْتَ تعرفُني بِدُون تحيّز ...
فاقْرَأْ - بِلاَ نظارتيك - قصائدي

أحمد اللغماني

تونس الحبيبة

بقلم : حسني سيد لبيب

ليأذن لي القارىء الكريم في استعمال كلمة (الحبيبة) قاصدا تونس . فقد سافرت من بلدى الحبيب مصر الى تونس الشقيقة . وطاب لي المقام رغم قصر المدة ، على أرضها وبين ناسها الذين يستقبلون الحياة بوعى وفهم . وليس أدل من اسم (الحبيبة) نشير به الى تـونس التى يـرأس جمهوريتهـا المنـاضل الرئيس الحبيب بورقيبة ، كما أن اسم الحبيب معروف في تونس ، وتتميز به عن سواها من البلدان . ومن الاسماء المشهورة الدكتـور الحبيب ثامر ، والحبيب بوقطفة وغيرهما . فلا أقل من استعارة الاسم ، ونقول (الحبيبـة تونس) . والحب أقصده للبلاد الساحرة التى حباها الله طبيعـة خـلابة ، وتنفرد بموقعها الساحلي الفريد على البحر المتوسط . ان الخضرة تنتشر فى كل مكان .. على الروابى والتلال كل شىء أخضر ، الشوارع تصطـف على جانبيها الاشجار . وتتوزع الحدائق العامة فى أرجاء متفـرقة من تـونس العاصمة . وأنا مفتون بكل شىء أخضر . فهل بعد ذلك يسأل سائل : لماذا تونس بلد محبوب ؟. وللحب أسباب أخرى ، منهـا جـامع الـزيتونة وحي الزيتونة . يتشابه الجامع والمنطقة المحيطة به ، بالجامع الازهر وحي خـان الخليلي فى مصر . أحببت فى تونس تراثها الاسلامى ، وما شعرت أنى غريب. لهذا كله ، يتوزع حبي بين الارض والتاريخ والناس .

★ ★ ★

قبيل سفرى الى تونس ، توقعت أن أجد اللهجة التونسية غير واضحـة ، مما يخلق صعوبة فى البداية لأتأقلم على سماع كلمات جديدة وأضـع مـا يقابلها . لكن توقعاتى لم تكن فى محلها ، اذ اسمع المواطن التونسى يحدثنى، فلا أجد ما يتعذر على فهمه ، فاقتراب اللهجتين المصـرية والتـونسية أمـر لمسته ، وليس الا كلمات بسيطة يمكن للانسان أن يستوعب معانيها بسرعة ، مثل : (نهـج) أى (شـارع) ، و (يعيشك) أى (تعيش) و (أهلا)

أى (أهلين) ، و (باهى) أى (حلو) ، و (زربية) أى (سجادة) وما الى ذلك . ويكاد يتقارب نطق الحروف فيما عدا القاف التى نقلبها نحن ألفا .

ولقد صادفت شعبا يعتز بأصالة ماضيه ، ويحتفى بأعلام مفكريه وقواده ، ويتطلع الى المستقبل بعين ملؤها الرضا والتفاؤل .

ومما توقعته أن أجد تونس قد شاه وجهها العربى بفعل رواسب الاستعمار الفرنسى القديم ، وكان استعمارا ثقافيا ، على عكس الاستعمار البريطانى لمصر ، الذى كان استعمارا اقتصاديا بالدرجة الاولى . وأرى أن الاستعمار الثقافى أسوأ أنواع الاستعمار ، فهو يبث قيما وتقاليد جديدة ، ويقوض أركان الثقافة والحضارة . هذا الاستعمار أخطر لانه يعمل على تغيير ما فى النفوس . إنه ينمى عقلية النشء بمفاهيم جديدة قد تسلخه عن واقع بلده،وان كانت رواسب الثقافة الفرنسية لم تنمح كلية حتى الآن ولمست هذا الاثر فى المطعم ، حيث يسهل التعامل بالفرنسية ، وقائمة الطعام لغتها فرنسية ، ولا توجد ترجمة عربية لها . كما أن لغة الادباء والشعراء والمفكرين هى الفرنسية .. بدأ بعضهم يكتب بها ثم تحول الى العربية ، أو يكتب باللغتين ، أو ما زال يواصل الكتابة بالفرنسية .

وقد بذلت المحاولات لتعريب تونس ، لتحريرها من الفرنسة الطاغية على شتى مظاهر الحياة ، ان تعريب تونس نوع من الرغبة فى التحرر من التبعية بشتى صورها ، وهى قضية المفكرين والادباء التونسيين بالدرجه الاولى . مثلما شاءت تونس أن تتحرر من تبعيتها للباب العالى فى الاستانة ، فشاءت أن يكون لها علم تعرف به ، لكن اختيار شكل العلم جاء مشابها للعلم التركى. وحتى كتابة المصاحف ، كتبوا بالخط المغربى لتفريقه عن الخط الفارسى والكوفى

وبدأت تونس تتعرف على ملامح وجهها العربى ، فاستقطبت الكثير من المفكرين والادباء والفنانين فى مؤتمرات وندوات . ولعل (مهرجان أيام قرطاج المسرحية) خير مثال لهذا ، والاحتفال بألفية ابن الجزار ، والاعداد للاحتفال بخمسينية أبى القاسم الشابى ، فى مدينة (توزر) مسقط رأسه ، بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته .

* * *

واذا ذهبت الى جامع الزيتونة ، تعرفت أكثر على الوجه الاسـلامي . ان تصميم الجامع شبيه بتصميم الجامع الازهر ، وملامح العصر الفاطمي واضحة في كل من مصر وتونس . واذا سرت في نهج جامع الزيتونة ، كأنك تسير في الموسكي وخان الخليلي والصاغة في مصر . نفس الطرق الضيقة والمشربيات والمقاهي والقباب .. والاختلاف بسيط ، وخاصة في المعروضات من المنسوجات والنقوش النحاسية ، وستجد محلات العطارة والمقاهي ، ان الوجوه المعتزة بانتمائها لهذا الحي الاسلامي القديم ، هي نفسها الوجوه التي تجدها في مصر.

تصادف الروابي الخضر وأنت تنتقل من بلد الى بلد . الخضرة في كل مكان، والحدائق العامة تنتشر في تونس العاصمة ، وهي متعـة السـائحين ، فقد حباها الله بموقع على البحر المتوسط يجعها بلدا يهفو اليـه كـل انسـان وتحضرني أبيات بليغة للشاعر جعفر ماجد :

بين بحـرين استراحت مستحمـه فأتاهـا العشـق من هـذا وذاك
أنت قطب كل من في البحر أمـه ليس يخشى حين يلقـاه الهـلاك
أنت عطر كل من في الشرق شمه واشتهـاه مثلما قلبـي اشتهـاك
تـونس الخضراء والاشواق جمـه لـك من كـل حبيـب قبلتـان

جسد الشاعر بلاده كامرأة يتزاحم العشـاق حولهـا ، يخطبـون ودها ، يستطيبون عطرها . فتونس بلد الروابي الخضر وأشجار الزيتون والبنايات البيضاء والالوان البهيجة الفاتحة الباعثة على السرور والانشراح . وتـونس بلد الشعب الطيب الذي يشبه في عاداته الى حد قريب عادات شعبنا المصري، وتونس بلد الحضارة الاسلامية والدولة الفاطمية ، التي امتدت الى مصر لتضع بصماتها ولمساتها الجمالية والمعمارية . وتونس بلد التحرر من التبعية بشتى مظاهرها . وتونس بلد سياحي بالـدرجة الاولى ، تأخـذ بأسبـاب الحضـارة والتقدم ، قدر ما تسعفها الامكانيات والظروف .

حسني سيد لبيب

تونس خلود

شعر : محمد عبد المنعم خفاجي

تونس الخلد والعلا والجلال وربى السحر والهوى والجمال
وطن المجد والحضارة والتاريخ والدين والمنى والنضال
والبطولات البكر تروى أناشيد علا عن أبنائك الابطال
أنت رمز الكفاح غنت به الدنيا طوال العصور والاجيال
يا لقائى (الحبيب) والنور فينا بك سارت شوارد الامثال
أنت يا تونس الخلود مثال عبقرى أكرم به من مثال
أنت سر من السماء جليل فيه روح المهيمن المتعالى
أنت مهد النبوغ من قدم الدهر مهد الشجعان والاقيال
كان ما قدمته أبناؤك الصيد مثالا لاكرم الامثال
كان ما حققته أحرارك الشم سجلا لأشرف الاعمال

....

أو ننسى الشابى وابن رشيق وابن خلدون من عظام الرجال ؟
أو ننسى آلاف من نبغوا منها وساروا فى بيدها والرمال ؟
أو ننسى حواضر العلم فيها ومنارات الفكر شم العوالى ؟
أو ننسى الزيتونة النور تمحو بسناها الزاهى ظلام الليالى ؟
مأثرات الزمان صنع بنيها وبأفعالهم ، وبالاقوال
كل شبر فيها له قصة ما استوعبتها عدا طوال الأمالى
تونس اللحن والنشيد وناى الخلد فى ثغر الفجر والآصال

كـم روينـا عنها المفـاخر لا يسطيـع إحصاءهـا عديـد المقـال
أسد بن الفرات ما زال حيـا مقعـد الصـدق نـزلـه والمـعـالى

* * *

يا ضفاف الجمال والسحر ، ما مغنى البطولات والسنـا والجلال
فى روابيـك كـل وشى من الحسـن رأينـا شبيهـه فى الجبـال
والسهول الخضر الوديعة تحكى روعة الفن سـاحـرا والجـمـال
من ضفاف النيل التليدة جئناك وأشـواق الـروح زاد الرحـال
كل حـب يفنى وحبـك بـاق فى فـؤادى يـا تـونس الاجيـال
يـا أحبـائى يـا رفـاق شبـابى أنـا ما للهوى المثير ؟ ومـالى ؟
تـونس السحـر تلك آيـة حبـي صغتها لحنا وهى وزن احتمـالى

* * *

يـا شيـاطين عبقـر فتعـالى الهمينى عـذب القصيـد ، تعـالى
روعـة المجـد والاصالـة والتاريـخ فـاقت ابـداع كـل مغـالى
أيـن منهـا سـواحـر الفـن أو إعجـاز رسـام راع أو مثـال ؟
وكفـاح الحبيـب قـائدكم مـثـل أحـلى رمـز لـفـن مثـالى
فتحايـا شعـب لشعـب شقيق وهمـا كـم تصـدرا فى الاوائل !

* * *

وطـن الفكـر والثقـافة والأنس ، ودنيـا الفنـون دم فى جـلال
لا تبـالى بعـاصـف لا تبـالى أنـت للنصـر سـابـق والنـزال
أنـت رمــز الآمــال أبــدا دم ، ودم ، ودم ، فـى جـلال

د. محمد عبد المنعم خفاجي

ايام في تـــونس

بقلم : فـريـد جحـا

تـونس في القلـب :

أجل تونس في القلب ، كانت ، ولا زالت ،وستبقى كذلك، بالنسبة لكاتب هذه المقالة . ولذلك قصة طويلة نقصها ففيها توضيح لهذه المقدمة .

تونس معي منذ خمسين عاما . كنت طالبا في السنة الثانية من المـرحلة الابتدائية عندما سمعت باسمها ، وعندما رأيت مكانها على خـارطة الـوطن العربي ، وشهدت أحد أبطال العرب ممن يرتبط اسمه باسمها ، ينطلق في مسرحية صغيرة منها ، ليفتح بلاد المغرب العربي ، وينشر فيها الاسـلام ، ولغة القرآن ، ثم يقف على البحـر المحيط ليقول : واللـه لولا هـذا البحـر لمضيت مجاهدا في سبيل الله .

كنا ندرس في ذلك العام أبطالا من التاريخ العربي وكان عقبـة بن نافـع بينهم وكان استاذنا أيامئذ شغوفا بالتاريخ ، وأصيلا في تدريسه لنا ، فقد كان يقدم مادة الدرس في صورة مسرحية : وهكذا شهدت أولا هذا البطل العظيم يفتح الممالك ويدوخ الروم والبربر ، ثم يقف على شاطىء بحر الظلمات ويقول جملته المشهورة تلك .

وأكمل أستاذنا ـ رحمه الله ـ الدرس ، فشرح لنا بقيـة ما يعـرف عن قصة حياة عقبة : عن تقاه ، وجهاده ، وايمانه ، ثم أتى بخارطة افريقية فأرانا تونس ، ثم سار باتجاه الغرب يرسم لنا عليها الطريق الذي اتبعه المجاهد نشراً لدين الله . وهكذا سمعت لاول مرة باسم عقبة وتـونس والقيروان . والجزائر والمغرب ، وبحر الظلمات ، وكان في جملة حديث معلمنا أن تونس تلقب بالخضراء ، لانها بلد الشجرة المبـاركة الـدائمة الخضـرة التي كانت

أشجارها تحيط ببلدتنا فى ذلكم الجزء الشمالى من سورية العربية ، وأعني بها شجرة الزيتون .

وتمنيت لو أتيح لى ذات يوم زيارتها ، وتعرف ملامحها . ومرت سنوات خمس ، وكان برنامج السنة الثالثة الثانوية (فى عام 1942) يتضمن دراسة تاريخ العرب والاسلام بشكل مفصل .. ومن جديد درسنا التاريخ الأموي ، ودرسنا جهاد عقبة بن نافع وفتوحاته ، واطللنا من ثم على تونس فدرسناها بشىء من التفصيل فى مادة الجغرافيا ، حين تعرفناها من جميع النواحى الطبيعية والبشرية والتاريخية والاقتصادية . وازداد القلب تعلقا بتونس ، وترسخ العلم فى أعماق النفس ، وكنا فى شبابنا نتمنى لو أتيحت لنا زيارة هذا القطر الشقيق .

وفى الجامعة ، أتممنا دراسة معمقة ومفصلة للتاريخ العربى قبل الاسلام وبعده ، وهكذا سمعنا فى مدرجات كليات الآداب بجامعة دمشق الشىء الكثير عن تونس وقرأنا الشىء الكثير عن جهاد بطلها عقبة بن نافع ، وأضفنا الى ذلك كله معرفة بمدينة القيروان ، وخاصة عند دراستنا المفصلة (للعمدة) كتاب أديبها وناقدها الكبير (ابن رشيق) ، وهو المؤلف الهام الذى يؤلف حلقة ممتازة فى سلسلة كتب النقد العربى القديم . ومرة ثالثة ازددنا تعلقا بتونس وترسخ فى أعماق القلب والنفس ذلكم الحلم الذى صنعته طفولتنا عن ذلكم البلد الجميل .

وكانت الرابعة عندما تتبعنا فى الخمسينات أنباء نضال أبناء تونس ، بقيادة المجاهد الاكبر ، ضد الاستعمار الفرنسى ، طلبا للحرية والاستقلال ، ذلكم النضال الذى استمر طوال عهد الحماية ، وتوج بالسنوات الاخيرة بالعنف والشدة والمثابرة ، مما اضطر المستعمر الى النزول عند ارادة الشعب التونسى المناضل ، والى حمل عصاه ، والرحيل تاركا البلد ينعم بالاستقلال للمرة الاولى منذ مدة طويلة . وبتقدم وبتطور فى معارج الرقي ولينهض نهضة نمت فى ميادين مختلفة أهمها : الميدن الثقافى والتعليمى ، وما صحبه من احياء للتراث ، وتعريب لكافة المرافق والسير بخطى واثقة فى طريق الحضارة

وكانت الخامسة حالة خاصة : فعندما بدأت أعد دراستى العالية عن (آثار مدينة حلب) كان فى جملة ما قرأت كتاب الدكتور أحمد فكري عن (المسجد

الجامع بالقيروان) وهو كتاب ممتاز أعد أطروحة للدكتوراه فى عام 1933 ، فجاء بحثا ممتازا عن هذا الأثر العظيم ، مزينا بالصور ، وموثقا بالمصادر والمخططات ، ومبينا خاصة مكانة هذا المسجد فى تاريخ العمارة العربية الاسلامية

ذلك كله كان اسبابا قربتني من تونس ، وقربت تونس مني ، وجعلتني أتمنى زيارة هذا القطر الشقيق ، ورؤية معالمه وآثاره ، وخاصة مسجد عقبة هذا الذى أصبح كل ما فيه محفورا فى الذاكرة ، طالبا الانتقال من دنيا الحلم الى دنيا الحقيقة والواقع لذلك كان حرصى كبيرا على الأسهام فى الندوة العالمية لألفية الطبيب العربى ابن الجزار ، وكانت سعادتى كبيرة منذ استطعت كتابة بحثين عنه ، تناول أولهما مصادر دراسته ، والثانى مكانته فى تاريخ الطب العربى ، وكنت ازداد سعادة كلما اقترب موعد الندوة ، ممنيا النفس بأيام سعيدة نقضيها فى تونس الشقيقة محققين حلما طالما تمنيناه منذ سنوات طفولتنا الاولى .

والحلم يتحقق :

وهكذا ركبنا الطائرة ظهر اليوم الحادى عشر من شهر أفريل من عام 1984 يحدونا الامل فى اتمام ما كنا عولنا عليه ، ويزيدنا سعادة معرفتنا بمن سنلتقى من أصدقاء ، وبمن سنتعرف اليهم من علماء .

وحط ركبنا الطائر ، فى مطار تونس ــ قرطاج فى يوم ربيعي جميل ، وأظللنا على تونس العاصمة تغمرها شمس الاصيل بأشعتها الدافئة الحلوة ، ودخلنا أرضها الطيبة لنلتقى فيها بالاصدقاء وعلى رأسهم الدكتور محمد السويسى ، ومعه مندوب وزارة الشؤون الثقافية .

وهكذا تحقق الحلم الذى عايشناه خمسين عاما ووجدنا أنفسنا أخيرا على الارض المباركة الشقيقة ننعم فيها ونسعد بما شهدنا من معالم وبما لقينا من كرم ضيافة ، ثم بما أفدنا من أبحاث الندوة العتيدة .

فى القيروان :

وكان اليوم الاول من أيام ملتقى ابن الجزار يتضمن زيارة مدينة هذا الطبيب الكبير : جولة فى معالمها ، وغداء بدعوة من السيد الوالى ، وحفل افتتاح . وكان يوما سعيدا جدا . الطبيعة فية سمحاء ممراحة ، والجو

جميل لطيف ، وها هى ذى القيروان تقدم مفاتنها وآثارها وكرم ضيافتها وحفلا ممتازا للافتتاح . وكان كل ما فى اليوم بهيجا : زيارة دار الولاية المبنية على الطراز العربى وحديث الوالى ولطفه وايناسه ، والغداء السخي وما فيه من أطايب ، والحفل الذى تضمن كلمات ممتازة زينها السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية بحضوره ، وكلمته الممتازة فكرا وأسلوبا وتعبيرا عن الفخر بماض تليد مجيد ، وتطلع لغد نأمل جميعا أن يكون لائقا بذلك الماضى .

تخلل ذلك كله جولة اثرية سعدنا فيها برؤية معالم القيروان : سورها ، وأسواقها ، ومساجدها ، وخاصة المسجد الجامع الاعظم ، ومقام الصحابى أبى زمعة البلوي .. كان كل شيء جميلا وكان أجمل ما رأيت مسجد عقبة العظيم بفخامته ووقاره ، ووقوفه صامدا فى وجه القرون طودا شامخا من جمال وجلال .

وامتلأ القلب سعادة، وافعمت النفس حبورا، وبالاحلام التى عمرها خمسون عاما ما أبهجها ! وما أزهاها ! وما أروعها حين تتحقق !! ولقد كانت الحقيقة أجمل من الحلم ،والواقع أروع من الصورة الذهنية ، وطارت بنا السعادة الى السماء بألف جناح ، وأخذنا نرسم فى الذهن منذ ذلك الوقت صورة المقال الذى سنحرره عن المسجد الجامع الاعظم (*) بالقيروان ، مزودا بدراسة تاريخية أثرية معززة بالصور والمخططات ، وموثقة بالمصادر المعتمدة .

مجريات الندوة :

وخصصت الايام الثلاثة التالية لجلسات الندوة التى قدم فيها أربعون بحثا تناولت الجوانب المختلفة لحياة ابن الجزار وعصره وعبقريته وآثاره المخطوطة والمطبوعة ومكانته الهامة التى يحتلها فى تاريخ الحضارة العربية والانسانية ، وهو موضوع بحث كاتب هذا المقال المقدم الى الندوة تبيانا لمكانة هذا الطبيب العربى الكبير ، والمؤلف الغزير الانتاج ، والذى تناولت الآثار التى خلفها جوانب كثيرة من الحضارة العربية الاسلامية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) واللذين يؤلفان الفترة الأزهى من فترات حضارتنا العربية الزاهرة . ولم يكن ابن الجزار

(*) هذه الدراسة المدعمة بالرسوم ستصدر بمجلة « فنون » .

طبيبا ، ومؤلفا ومؤرخا ، وصيدلانيا ، وأديبا فحسب ، بل كان قبل كل شيء الانسان العفيف ، الطيب ، المترفع عن الدنايا ، والذى يعامل مرضاه معاملة ممتازة تذكر بما تتطلبه أخلاق الطبيب فى هذا القرن العشرين من تاريخ البشرية

خاتمة :

خلاصة القول : إن الأيام الخمسة التى قضيناها فى تونس الشقيقه قد جاءت تحقيقا لحلم رافقنا منذ وعينا ذاتنا الثقافية، واذا ما كان ذلك الحلم عظيما لاتصاله ببلد شقيق جميل زاهى التاريخ فان ما رأيناه فى الواقع خلال زيارتنا لمدينتى تونس والقيروان يشهد على استمرار الماضى التليد فى الحاضر المجيد وعلى ان مستقبل هذه الامة العربية العظيمة التى نعتز بالانتساب اليها سيكون رائعا ، ملائما ، لذلكم الماضى وما فيه من إسهام العرب العظيم فى تاريخ الانسان ومسيرته الحضارية الثقافية .

محمد فريد جحا
باحث الآثار والتاريخ والآداب
(حلب)

اليوم لا تبكي الرياح على دمي..

شعر: البشير المشرقي

اليومَ لا تبكي الرياحُ على دمي
والخيلُ شاردةٌ وكلّ منافذِ الإسراء قدْ سُدّتْ عليّ
فأينَ أهربُ ياتُرى ؟
« بنزرتُ » غانيةٌ تنط على دمِي
هذا أنا العربِي والجُرحُ المُعمّقُ فِي جبينِي .. لونُهُ العربِيُّ
شكلُ الحزْن فِيهِ .. كيومِنا العربِي — مجبُولٌ على الأحْزانِ ..
يا صُورَ الحُطيئةَ والفرزْدق والغزالي هلْ للونِي فِيك زاوِيةٌ ؟
اليوْمَ لاَ تبكِي الرّياحُ على دمِي .. وأرَى رُؤى الحلاّج فائِرةً
وجُرْحَ الغيْم مُنْسكبا على الشُّرُفاتِ .. ياعُمُرِي تنكر لي الصنوْبرُ
واعْتلى الصّفصافُ قِمّةَ لوْعتِي .. منْ لاخضرار اللون حِينَ
يلفّ أرْكانِي ويغْمُرُ مُهْجتِي ..
منْ لانْتِشار البوْح والعِطر المُضمّخ فِي دمِي وأنا أفِرّ إلى ظلالك
يا دوالي ..
اليوْمَ لاَ تبكِي الرّياحُ على دمِي .. وتمُرّ فوْقَ مرافِئتِي أسْرابُ
هذا النورس الباكِي وأشْباحُ الصّوارِي ؟
وأراك يا وطنِي مسارحَ ترْتمِي كالشّبح فِي عُمْق البرارِي ..
هلْ يلذّ لكَ التبرّجُ مِثْلَ ساقِيةٍ تعُودُ إلى المجارِي .. والرّياحُ
مُغِيرةٌ .. ؟

* * *

اليَوْمَ لا تبْكِي الرِّيَاحُ على دَمِي ..
الرّاحُ ممكنةٌ ومَوّالُ الحبيبةِ فِي فَمِي يَسْرِي
وَأيّامِي تُسافِرُ فِي السُّؤالِ .. مَتى سَتَرْحَلُ فِيَّ مملكةُ النّخيل
فأرْتَوِي وأكونُ في نَهْرِ المَوَدّةِ رَافِدًا .. إنّ الضفافَ تَلَذّ لي ! .
كلّ المَسَارِبِ فيكَ يَا وَطَنِي مُغَايِرَةٌ لِبَوْحِي وَالمَلامحِ فِيكَ سكرى
هَلْ أرَى وَجْهِي غدًا وَالحُزْن فِي وَطَنِي مَرَايَا ؟ هَلْ يَفِرّ الخافِقُ
المُلْتَاعُ مِنْ وَطَنِي وَيَدْخُلُهُ سِوَايَ ؟

* * *

الآنَ أشْعُرُ أنّنِي ضَيّعْتُ فِي الطرُق الطويلةِ وَجْهَ أُمّي .. كانَ
في الشرفَاتِ بَوْحٌ يَرْتَمِي .. نَبَرَاتُهُ مِنْ فَيْض فَيْرُوز وَأنّاتِ
الجَدَاول .. كنْتُ في غَيْبُوبَةٍ يَنْتَابُنِي الوَجَعُ الخريفِيّ ..
مِنْ هُنَا مَرّتْ قَوَافِلُنَا بُعَيْدَ الفجرِ يَا طَيْفَ الحَبِيبَةِ ..
إنّهَا الخَضْرَاءُ لاَ تَدْرِي مَتى يَبْكِي فُؤَادُ الشّاعِرِ المُلْتَاع
هَذِي غُرْبَتِي وَالرّيحُ قَادِمَةٌ فكيْفَ أبُوحُ !؟
هَذِي غُرْبَتِي وَالرّيحُ غانِيَةٌ بِفِتْنَتِهَا تَفُوحُ
لَمْ يَبْقَ لي غَيْرُ الرّحيل بِسُرْعَةٍ
لَمْ يَبْقَ لي غَيْرُ الرّحيل مَعَ الأَسَى !
مَرْثِيّةُ الوطن الجريح خَرِيطَةٌ فَتّشْتُ فِيهَا عَنْ شَذَا الصّفْصَافِ
فِي وَطَنِي وَعَنْ هَمَسَاتِ دِجْلَةَ حاصَرَتْهُ ضِفَافُهُ بِالبَوْحِ ..
لَكِنْ لَمْ أجِدْ غَيْرَ الجِرَاحِ تَجِيءُ كالحَةً كَوَجْهِ الغَيْمِ ..
حَمْزَةُ مَاتَ ..
عَبْدُ الله سَافَرَ مِنْ زَمَانٍ .. لمْ أجِدْ فِي كلّ خارطةِ العُرُوبَةِ
مَرْفَأً تَأْوِي إليْهِ سَفَائِنِي .. هَلْ غَادَرَتْنِي سمْرَتِي ؟

أمْ صَادَرَ الوَطنَ الضبَاب ؟

* * *

اليَوْمَ يُدْركنِي السُّهَادْ
وَسنِيٌ عُمْرِي بعَثرَتهَا الرّيحُ فِي كلّ الوهَادْ
هَذي حَصِيلَة رحْلتِي : وَهْمٌ وَأشْوَاكٌ وَامَالٌ رَمَادْ
وَبَقيَّةٌ مِنْ غِبْطَة أنْذَرْتُهَا لليْل حَتّى أسْتَريحَ ..
مَوَاسِمُ العُشّاق وَلّتْ وَانْتهَى التَّجْديفُ فِي عينَيْك
يَا وَطنِي وَتاهَتْ فِيك كلّ مَرَاكِبِي !

* * *

اليَوْمَ أرْحَلُ فِي خرَائِطك القصِيَّة أيهَا الوَطنُ الرّحِيبُ
وَلاَ أرَى وَجْهِي .. تغَيرَت المَسَارِبُ وَالعَرَاءُ هُوَ العَرَاءُ
وَكلّ أحْبَابِي الذِينَ رَحَلتُ فِي أعْمَاقِهِمْ زَاغُوا
فَهَلْ ألْقَاك يَا دُنْيَا الأحبّة بَعْدَمَا انقَطَعَ الرّجَاءُ ؟
اليَوْمَ أرْحَلُ فِي خرَائِطك الجَرِيحَة .. لاَ أرَى فِيك النّخِيلَ
يَمِيس مُخْتَالاً وَلَكِننِّي أرَى جُرْحاً يُطوّقهُ السّرَابُ
اليَوْمَ أرْحَل فِي خرَائِطك الغَرِيبَة .. يَعْترِينِي الغَيْمُ .. يَحْوِينِي
الضبَابُ فَمَنْ أنَا ؟
للرّيح فَرْحَتُهَا وَلِي وَحْدِي الأسَى بَلْ إنّهُ قَدَرُ العُرُوبَهْ !
جُرْحُ العُرُوبَة فَاغِرٌ وَأنَا الذي عَمّقتُهُ بِيَدِي ..
وَهَنْدَسْنَا مَعاً أبْعَادَ لَوْعَتِه وَصَوّرْنَا نُدُوبَهْ
فَليَفْخَر الوَطنُ الجَرِيحُ بِفِعْلِنَا
فَلْيَفْخَر الوَطنُ الجَرِيحُ بِفِعلِنَا !!

البشير المشرقي

الحداثة والتجديد في الابداع التونسي الحديث

بقلم : رشيد الذوادي

كلما أطلق لفظ (الحداثة) أو لفظ (التجديد) في الابـداع .. كلمـا نساءلنا ما المـراد بالحـداثة ؟.. وما المقصـود بالتجديـد ؟.. وما الفرق بين الكلمتين ؟..

وكلا اللفظين له معنى ، وله مدلول واضح يحمل مؤشرات خاصة ، وسمات ومميـزات .

واذا كان « التجديد والمعاصرة » يشيران فيما يشيـران الى الـزمن والى التجديد فيه ؛ فان الحداثة تتجاوز هذا المفهوم .. تتجاوز اشارة الزمن ومحور الزمنية .. تتجاوز كل هذا ، وأهميتها ليست تاريخية ولكنهـا غير مستلبـة التاريخ .. بل هي مرتبطة به ومقتحمة لاطواره وأحداثه .

والحداثة كمصطلح نقدي ـ وإن اختلفت من نص الى نص ـ فهي في عمومها مطلب حيوي يراد به التطور والتجديد ، ويعني الابتكار ، ويشير الى التغيير والتحديث .

وهكذا فالحداثة دائما مرتبطة بالابتكار سواء في المنهـج ، أو في الشكـل والاكتشاف..ومن ثم أصبحت لها دلالات تقييمية.وثوابت وملامح ثورية؛ فهي تحدد الظواهر الادبية والفنية مرحلة مرحلة من مراحل تاريخ الادب والفن ، وتقدم التحولات الفكرية المستجدة على الساحة الابداعية .

(*) هذه الدراسة وزعت في مهرجان القاهرة للابداع العـربي : (24 ـ 30 مارس 1984) .

والحداثة أيضا ليست بدعة ؛ بل (مصلحة مرسلة) يستوجبها العصر ، وتحتمها ضرورات الزمن ؛ لانها تحمل قيما ايجابية ، ورؤى معاصرة .. وهى بالتالى أسلوب مستحدث لا يمكن أن ينتهى بمفعول الزمن بالمرة .

والابداع العربى فى عمومه مر بتجارب عديدة فى مجال (الحداثة) ، ومع ذلك لم ينفلت من تأثره بالتراث والاصالة .

والحداثيون الجدد : (أبو القاسم الشابى ، ومطران ، وسعيد أبو بكر ، وإبراهيم ناجى ، ويوسف الخال ، وعد المعطى حجازى ، وأدونيس ، والميدانى بن صالح ، وحلمى سالم) لم يخرجوا عن أصالتهم ؛ بل عمقوا الابداع الادبى والفني ، وصوروا الطموحات السياسية والاجتماعية ، وبشروا بالحركات الابداعية الواعدة .

وإننا اذا ما قرأنا لهم فلا يمكن أن نتفاعل عن خصوصيات إبداعاتهم فالفن فى مفهومهم هو وإن كان إدراكا جماليا فلا بد أن ينعكس على الواقع ويؤثر فيه ، ولا بد ان يفصح عن طبيعة ونفسية صاحبه ، وفكره ، وإيديلوجيته .

كما أن (الكلمة) لها توجهات أيضا .. هى جرس لها دلالة اجتماعية ؛ لكن لا بد أن تجسد الفن الابداعى الخالد وتميزه وتفرده .

وإن الابداع التونسى بمختلف مضامينه وأشكاله ، وبصرف النظر عن قيمته فى ذاته ؛ ليس بمادة ميتة خالية من الحياة .. بل هو عملية التحام بالحياة وبمكونات الثقافة العربية المعاصرة ، وفيه احساس عميق بوجوب الحفاظ على الشخصية التونسية والهوية العربية ؛ لذلك اتجهت الاهتمامات بموضوعات هذا الابداع والدعوة الى نشره ، وتقريبه الى ذهن الرجل العادى حتى نتجاوز مرحلة المستهلكين للثقافة الى المنتجين لها ، وتتأتى لنا المشاركة بعمق فى حضارة العصر التى سوف تتيح لنا اللحاق بأحداث العالم وتطوراته.

وإن الدراسات المختلفة التى تناولت مختلف جوانب الابداع فى تونس تعكس بصورة أو بأخرى تقبل هذا الابداع من طرف الجماهير وتدعو الى تحليله فى ضوء النظريات العلمية الحديثة ، كما تقيم الدليل على أهمية أعمال المبدعين فى تونس وتثبت كفاءاتهم واسهاماتهم بوضوح فى ذلك التساؤل الذى يثار حول جدوى الابداع ، وقيمته ، وارتباطه بـ (العصرنه) و (الحداثة) ، وبالقيم الاخلاقية والسلوك البشرى ، وبالصراع الذى يدور بين أنصار الجديد الذين ينادون بتقبل الحضارة الغربية باعتبارها حضارة

العصر ، وبهجمة الآخرين عليها ومناداتهم بتحدى الحضارة الوافدة ؛ فهى فى نظرهم حضارة التفكك الاسرى ، وتحمل فى ثناياها ضياع القيم والتقاليد ، بل وضياع الانسان ذاته نتيجة لازدياد روح الفردية فيها .

وابداعات التونسيين سواء فى المسرح أو فى الموسيقى ، أو فى القصة ، والشعر ، والروايات والدراسات النقدية ، أو فى تحديث التراث ؛ هى أعمال مخططة ومنهجية ، وفيها مواقف نقدية ، وتكشف أيضا عن التوجه العقلى والموقف الذهنى الذى يصدر عن صاحبه .. وهى بالتالى تجسم ذلك التواصل الفكرى الذى ما كان يسمح بوجود فجوة واسعة بين المبدع والجماهير وبين القديم الاصيل والجديد المعاصر .

فهذه (الابداعات) هى تفسر التحليلات النفسية ، والتأويلات الانثروبولوجية ، وتصور الواقع بأهازيجه ومتاعبه ، وهى فى نفس الوقت مؤشر من مؤشرات مصادر التحليل والاسهام لقيام نظريات جديدة ضد الغزو الثقافى الاوربى وما يشكله هذا الغزو من أخطار ومشكلات .

ـ حركة التجديد فى الادب :

والعودة الى ظاهرة التجديد فى الادب .. هى ظاهرة قديمة جدا .. كانت مرة حول تحديد الرؤى .. وكانت أخرى حول تحقيق أحكام نقدية وتبرير مقاييس فنية وجمالية محددة .

وإنى شخصيا لا أنكر هذه الرغبة فى التجديد ؛ بل وأدعو الى المزيد منه ؛ لانه من الضرورات الملحة التى لا بد منها حتى نجعل أدبنا يشق طريقه ويتخذ المسار القويم التوجه الطبيعى له .

والتجديد فى الادب العربى كـ (ظاهرة) و كـ (تصور) .. هو دائما قائم فى الوعى العربى المعاصر ، وهو دائما مثقل بدلالات ايديولوجية وبسيكولوجية وحضارية متباينة ، والآراء كانت باستمرار هى الاخرى مختلفة حول مفهومه ومحدوديته .. وأفسحت كل الآراء أمام دارسى الادب العربى المعاصر مناقشة العديد من القضايا الادبية والفكرية ، بل وأعطت أيضا للقارىء العربى صورة واضحة عن القيم النقدية ، وميزت الانتاج الجيد من غيره .

ـ بدايات عهود الحداثة فى الادب العربى :

العرب قبيل عصر النهضة سادت فى مجتمعاتهم الثقافة القديمه ، ولاكت ألسنتهم المسائل التى لا صلة لها بالتطور ، نتيجة للجهل المتفشى ، ولحالة اليأس بسبب الانطواء على النفس ..

ولكن سرعان ما انتبه العرب .. وتنبهوا الى هذا الخطأ فتحركوا فى اتجاه تدارك الوضع .. وبدأوا أولا بالاتصال بالغربيين والاحتكاك بهم وحققوا بفضل هذه المبادرة المزيد من دعم الروابط مع الكثير من الشعوب (I) .

وحملة نابليون بونابرت (1798) كانت هى الاخرى بداية اتصال مصر بالغربيين .

وظهور الطباعة ، والصحف ، واتخاذ اللغة العربية كأداة للتعبير شجع هو الآخر على حركة التجديد فى أدبنا العربى .

كما أن انتشار الجمعيات الفكرية والمجامع اللغوية والعلمية أيقظ الهمم وشجع الاديب على أن يبدع ويتفنن فى أدبه ويرتقى بفنه .

وبعد ما ظهر على الساحة الادبية كل من عبد الله البستانى ، وأحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، ومعروف الرصافى ، وخليل مطران ؛ ظهرت عدة فنون أدبية مستحدثة كـ : (نظم المسرحيات) مثلما فعل أحمد شوقى وخليل اليازجى ، ثم ظهرت (النزعة الرومانطيقية) فى الادب العربى ، وإثرها برزت (المدرسة الرمزية) وانتشرت المسرحيات وأغراض الشعر الحديث ، كما تطور النثر واجتازت القصة العربية عدة مراحل فى نطاق الابداعات .

هذا هو مسار حركة التجديد فى الادب العربى ، وهو كما ترون كان مرحليا .. وجدنا بصمات منه فى ابداعات خليل مطران حينما حاول أن يتخلص من القافية ، وفى إنتاج أعلام النثر المجددين كـ : أحمد فارس الشدياق ، واليازجى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى وغيرهم .

وفى ميدان تجديد النقد الادبى ، يعد سليمان البستانى هو أبو النقد العلمى ، ويليه مخائيل نعيمة ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، والدكتور عبد العزيز شرف ، والدكتور محمد مندور .

(I) انظر : (إشارات أدبية) لرشيد الذوادى ، ط تونس 1980 ، ص 73 .

وعن حركة التجديد فى الادب العربى المعاصر تولد تفكير نقدى موضوعى فأصبحنا نقرأ نماذج شعرية مليئة بالعاطفة الحارة وذات النزعة الاشتراكية التحررية كقصائد (كمال نشأت) ؛ الذى كانت مواقفه مضادة لحكم فاروق ، كما أن الشاعر ابراهيم ناجي لم تخل أشعاره من وصف ممتع لحبيبته المرأة وذكرياته عنها ، كما تحدث عن الطبيعة ووصفها وصفا جماليا حسيا ، وعرف منذ وقت مبكر بهموم الوطن ، وعظمة مصر ، والدعوة الى مجدها فله قصيدة بعنوان : (تحية لمجد مصر) يعود تاريخها الى سنة 1933 ويقول فى مطلعها :

بلاد النيل يا مهد المعالي ويا وطن العظائم والجلال

ومثله الشاعر ابراهيم ناجى .. هذا الشاعر أيضا بشر بالمستقبل ودعا الى البناء ، والتصنيع ، والى الكفاح من أجل الفجر الجديد .. يقول فى هذا الشأن:

سلاما شباب النيل فى كل موقف على الدهر يجني المجد أو يجلب الفخرا
تعالوا نشيد مصنعا رب مصنع يدر على صناعتنا المغنم الوفرا
تعالوا نشيد ملجأ رب ملجأ يضم حطام البؤس والاوجه الصفرا
تعالوا لنمحو الجهل والعلل التى أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا
شباب اذا نامت عيون فاننا بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا

ـ أبعاد حركة التجديد الادبى فى تونس :

والادب التونسى فى جملته شأنه شأن الادب العربى عموما ؛ فهو ممتد الجذور متلاحم الاطوار وقد توفر له من المصادر ما يتيح للباحثين أن يتقصوا حالات ازدهاره وركوده .. ولو حاول النقاد اليوم أن يتغلغلوا من خلاله الى مختلف الظواهر والمشاكل التى عبر عنها هذا الادب ؛ لوجدوا فيها ما يعطيهم الكفاية عن الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية التى مرت بها تونس .

ونحن لو استقصينا جهود المبدعين التونسيين اليوم فى مجالات القصة القصيرة والرواية والشعر والخاطرة والمسرح ؛ لوجدنا أن هناك طرافة فى الابداع ، ومتعة فى التعمق فيما عاناه الشعب التونسى والعربى عموما فى النضالات المتواصلة ضد أولئك الغزاة ؛ الذين قهروا أوطاننا وحاولوا طمس شخصيتنا واذابتها .

واعتقادى أن حركة الانبعاث التجديدى فى الادب التونسى بـدأت بظهور جماعة من الادباء التونسيين الكبار فى مقدمتهم الشاعر محمـود قابـادو : (1812 ـ 1871 م.) الذى كان شاعرا وطنيا وقادته ثورته العقلية الى أن ينتج شعرا توجيهيا اصلاحيا وجـد صـداه فى تـلاميذه بـ (جـامع الزيتـونة) و بـ (المدرسة الحربية بباردو) .

ومحمود قابادو فى شعره كان محبا لوطنه ولا يتخلف عن المباهاة به ؛ فما من ممدوح لديه إلا وتونس مقطع من مقاطع القصيدة التى تصاغ له ولا تطيب التواشيح الا بذكرها :

تـونس الأنـس بلـدة ميمـونـه   وهي باللطـف والقضـاء مصونـه
عـادة الله أن من رامهـا بالسـو   ء تـرديـه نعيـه المسـنـونـه

وتطورت حركة الابداع الادبى فى تونس فى الشعـر وغيـره مع تـوالى السنين .. فعبرت ابداعات التونسيين عن ثورة الشعب التونسى ضد الحماية الفرنسية .. وهكذا رأينا الشعر التونسى يصور لنا معارك أهـالى المـدن والبوادى ضد الحماية ويمجد البطـولات الشعبيـة ، وانتفـت منـه المـدائح والاهاجى والمفاخرة وأصبح شعرا مندمجا فى الواقع ويترصد الاحداث فيه .

وظهور قصة (الهيفاء وسراج الليل) فى مجلة (خير الدين) يعد حدثـا بارزا فى حركة تطور الادب فى تونس ؛ فهى أول عملية إبداعية فى القصة فى تونس ؛ لذلك اعتبر صاحبها وهو الصادق الرزقى أول قاص فى تونس (2) .

وتوالت عملية تطوير الابداع الادبى والفني فى تونس .. مثلا بدأ ظهور (الشعر العصرى) حينما تولت مجلة (السعادة العظمى) الدعوة له بعـد ظهور بواكير هذا الشعر بجريدة (النهضة) لسالم بوحاجب الذى كان آخر رجالات عهد الاصلاح .

وأخذت (السعادة العظمى) تناصر هذا الشعر وتدعو له ، ونشرت مقالات تدعو الى الصياغة فيه وبرزت أولى هذه المقالات فى صورة غضب من جـراء

(2) انظر ترجمة محمد الرزقى بالعدد السابع من مجلة (قصص) : (مارس 1968) كما تجد هذه القصة منشورة فى (قصص) ع 6 (يناير 1968).

تحجر الشعر وتخلفه وانصياعه لعناوين الشكلية فنشر الشاعر عبد العزيز السعودي مقالا عن حياة الشعر وتطوره .. شكا فيه من طغيان تيار المدائح والاهاجي وحمل فيه على المتغالين في هذا الشأن .. يقول : (إن الشعر معنى عظيم يدرك بالوجدان ، وإن الذين حصروه فيما عرفوه به ضيقوا واسعا وجعلوه اسما على غير مسمى (3) .

ومع الايام تطلع الناس الى (الشعر العصري) وبدأ هذا الشعر يجد صداه في النفوس ؛ خاصة بعد ظهور تيار انفتاح الادب التونسي على الادب العالمي.

ولعل أولى القصائد التى نقلت عن هذا الشعر العالمي ؛ هي تلك التى ظهرت في الصواب بعنوان : (ماذا أريد ؟) وترجمت بقلم مهاجر عن اللغة الروسية و (النص الشعري) في قطعة (ما أريد ؟) اختاره صاحبه معبرا عن السمات التى رأينا (الشعر العصري) يكرس لها معانيه (4) .

وفيما بين سنوات : (1914 – 1934) مثل الابداع التونسي وخاصة الشعر منه أبعاد المرحلة الفكرية والقضايا الوطنية كما تراءت لنا النماذج التى صدرت في هذا الشأن ، وأصبح الشعر العصري في هذا الطور حقيقة مجسدة وذاب رافضوه ولم يبق منهم سوى (أبو غنيم) ؛ الذى كتب في (المنير) مقالا بتاريخ 2 ديسمبر 1920 حمل فيه من جديد على أنصار (الشعر العصري) وطالب في آخره بتأسيس محكمة أدبية بمدينة (القيروان) على أطلال محكمة أمير شعرائها (ابن شرف) لتتولى اصدار أحكامها على دعاة (الشعر العصري) .

وتواصلت حركة الابداع الادبي في تونس ؛ فظهر محمد الشاذلي خزنه دار ؛ الذى كان شعره استجابة صريحة لاحداث وطنه ؛ فهو في قصيدته عن (واقعة سوق الاربعاء) يقول في شأن المعمر الفرنسي (تومانيفان) الذى قطع كفي عامليه وصلبهما في وهج الشمس بسبب قطفهما لعنقودين من العنب في صبيحة يوم عيد الاضحى : (3 أوت 1922) :

---

(3) الشعر التونسي المعاصر : (1870 – 1980) لمحمد الصالح الجابري ، ط تونس 1974 ، ص 71 و 72 .
(4) نفس المصدر ، ص 96 .

يهتز صوتهما الرنين   بين التهدج والأنين
يتناجيان بزفرة   رقت فكادت لا تبين
يتوجعان ولا مغيث   ولا رحيم ولا معين
يتبادلان أساهما   فتحوم حولهما الشجون
يتشاكيان بلهفة   شكوى الحزين الى الحزين
متدليان كلاهما   قد شد بالحبل المتين

وظهر فى الثلاثينات الكثير من الكتاب والشعراء منهم : سعيد أبو بكر : (1899 ـ 1948) ؛ الذى نادى بحل قيود الشعر ، وحث على ادخال أوزان جديدة عليه ثم كان أول تونسى نظم فى هذه الاوزان التى ابتكرها شعراء المهجر (5) .

وبظهور الشابى تخطت (الرومانسية) فى تونس ـ وفى مدى قصير ـ أدب هذا الشاعر لتصبح طابع الكثير من أصدقائه كـ (محمد الحليوى) الذى نشر فى مجلة (أبوللو) عديد الدراسات عن الادب الرومانسى وزعمائه (6).

وإثر بروز التيار الرومانسى على الساحة الادبية فى تونس نادى (الهادى العبيدى) بالكتابة فى مضمون جديد وهو المضمون الاجتماعى ومن أقواله فى هذا الشأن : إن (الاديب هو مبعوث يحمل رسالة فى الحياة موكل بابلاغها) (7) .

أما زين العابدين السنوسى فقد كتب فى سنة 1930 فى مجلته (العالم الادبى) (8) يدعو الى وزن جديد يعرف بالابيات الحرة وسبق لهذا الكاتب أن نشر فى عام 1927 فى (النهضة) مقالا دعا فيه الى صياغة الشعر على هذا النسق .

---

(5) انظر دراستنا عن (سعيد أبو بكر) فى كتاب (أدباء تونسيون) ، ط تونس 1972 ، ص 65 ـ 89 .
(6) أنظر : (الرسائل) : 18 نوفمبر 1933 ، ص 119 .
(7) جريدة (البوق) بتاريخ 9 نوفمبر 1936 .
(8) العالم الادبى : (أوت 1930) .

وبصدور (المباحث) التونسية فى أواخر الثلاثينات ؛ تطور الابداع الادبى فى تونس . ظهرت القصة التونسية بمفهومها التقنى على يد علي الدوعاجى أحد (جماعة تحت السور) (9) ، وظهر النقد الادبى والهزلى على يد محمود بيرم التونسى عندما كان أحد أعضاء هذه الجماعة ، وحصل تطور فى الانتاج الادبى الرومانسى على يد محمد البشروش الذى كانت تربطه صلات أدبية بالشابى ، وبمحمود المسعدى ، وبعلي البلهوان ، ومحمد باكير ، ومحمد العريبى

وفى (المباحث) تجد سياحات فكرية وابداعات فنية هامة . فمحمود المسعدى نشر مثلا رواية (مولد السيان) من 13 أفريل الى 16 جويلية 1945 وبعضا من فصول كتابه (حدث أبو هريرة قال ..) .

وفى الخمسينات أصدر (السد) وهى رواية فلسفية رمزية معانيها غير واضحة على ظاهر لفظها ؛ اذ لا بد من البحث عن خفي المعانى وراء ظاهر لفظها وعنها قال عميد الادب العربى طه حسين فى جريدة (الجمهورية) (10) .

« والاثر التونسى الذى أريد أن أتحدث عنه اليوم قصة تمثيلية رائعة ولكنها غريبة كل الغرابة كتبها صاحبها الاديب الاستاذ محمود المسعدى لتقرأ لا لتمثل ، ولتقرأ قراءة فيها كثير من التفكير ، والتدبر ، والاحتياج الى المعاودة ، والتكرار ، وحسبك أنى قرأتها مرتين ثم احتجت الى أن أعيد النظر فيها قبل أن أملى هذا الحديث ، وهى بأدب الجد العسير أشبه منها بأى شيء آخر وضع فيها الكاتب قلبه كله وعقله كله وبراعته الفنية ، واتقانه الممتاز للغة العربية ذات الاسلوب الساحر النضر والالفاظ المتخيرة المنتقاة » .

وفى أواخر الاربعينات برز على الساحة الابداعية فى تونس أبو القاسم محمد كرو فى كتابه (كفاح وحب) ، كما ظهر محمد العروسى المطوى كناقد وشاعر ، ثم محمد مزالى ككاتب سياسى ومفكر ، ثم عندما أصدر هذا الكاتب مجلة (الفكر) فى أكتوبر 1955 جمع حوله عددا كبيرا من الكتاب منهم: البشير بن سلامه ، ونور الدين صمود ، والميدانى بن صالح ، وجعفر ماجد ،

---

(9) انظر كتابنا عن هذه الجماعة ، ط تونس 1975 .

(10)انظر (الجمهورية) بتاريخ 27 فبراير 1957 و (محمود المسعدى وكتابه « السد ») لنور الدين صمود ، ط تونس 1983 ، ص 46 — 47 .

الأمـــــل

مسرحية : احمد العموري

المشهد : طقس ربيعي رائق عند سفح جبل . وفي طريق بين الريحان والاقحوان ، مخلوقتان جميلتان تتمشيان .. تتحادثان ، وفجاة تقفان على مرأى مخلوقة ثالثة يبدو عليها الشرود والشحاب جالسة عند جذع شجرة .

ايضا : غير معقول ! انظري من هناك ؟!

حيث : من ؟ (**وبمزيج من الاحترام والتودد**) السيدة الجليلة ذات الامجاد .. « إن » وما أدراك !

إن : (**بفتور**) أهلا بكما ..

ايضا : نعم ؟ أهلا بكما ؟ هكذا بكل برودة ؟ لا توق ولا شوق ؟

حيث : (**بهمس**) انتظري ، لا بد ان في الامر شيئا (**تتوجه الى إن**) مـاذا جرى لبنت الحسب والنسب ؟

أيضا : (**بحنان**) نعم ما بالك ؟ قولي ولا تعذبينا !

إن : عجبا والله ، كاني بكما لا تشعران بما أصاب امنا (*) هذه الايـام من تشويه وتدمير !

ايضا وحيث : (تتبادلان النظر في اعتراف ومرارة) ..

إن : كانكما لا تقرآن الصحف ولا تسمعان الاذاعة والتلفزة!

حيث : (**بأسى**) بل نقرأ ونسمع .

(*) المقصود اللغة العربية .

ايضا : (**بألم**) .. وليتنا ما قرأنا وما سمعنا !

إن : (**بحماس .. كمن يغار على شرفه**) اذن .. تقرآن وتسمعان ؟ تقرآن ماذا ؟ وتسمعان .. ماذا ؟ لا .. أنتما لا تدركان خطورة الموقف .. انتما تأخذان المسألة بالهزل .

حيث وايضا : (**ينظر بعضهما الى بعض فى حيرة**) .

إن : (**وكأنها تحدث نفسها**) ما هذا ..؟ ألم تعد لامنا حرمة ؟ أيبلغ العقوق بالابناء هذه الدرجة .

حيث : هوني عليك يا أكيدة .. انت تعلمين انه زمن رديء .

ايضا : (**فى محاولة لتغيير مجرى الحديث**) قولى لنا اولا .. ماذا دهاك .. ولماذا انت معتكفة .. وفى البرارى تائهة !

إن : اسمعى .. لا تحاولى تضليلى ولا جبر خاطرى .. انا حزينة .. هه !

حيث : حزينة ؟ لا .. انت‌تبالغين . نحن مثلك نعرف ان امنا تشكو العقوق والاهمال ولكننا نحاول ..

إن : (**تقاطعها**) تحاولان ماذا .. سلوك النعامة ؟ لا يا اختاه امنا لا تشكو الاهمال والعقوق فقط .. انها تـهـان أتسمعين ؟ تـ ... هـا ... ن !!

ايضا : للاسف نعرف ذلك . ولكننا لا نستطيع ان نفعل شيئا .

حيث : نعم .. ما باليد حيلة .

إن : (**وكأنها تحدث نفسها**) ليتنى ما ذكرت الا فى القرآن ليتنى ما حييت الا فى كنف أبى الأسود الدؤلي ولا عشت بعد الامين والمأمون !! ابعد عصر النهضة .. يفعلون بنا هذا ؟ خبرى يا ناس.. خبرى ينصب ؟ وهو الذى كان منذ الازل .. مرفوع الرأس ؟ ماذا دهى احفاد العرب ؟ ماذا دهاهم ؟

حيث : لا تعكرى مزاجك .. انك ترتعشين !!

إن : (**تواصل ..**) اسمعى يا سيدتى نشرات الاخبار .. واجلسى لشريط الانباء .. وافرحى وامرحى .. اسمعى ، واذا لم يدق عنقك

ألف مرة .. حاسبيني . بل واسمعي منتجي البـرامج التـاريخية يقولون : في الفطرة الحسينية .. وفي تلك الفطرة صار وكان .. انى أكاد أجن !

ايضا : (**تنظر الى حيث**) الحق معها ..

إن : طبعا الحق معي .. والصحف .. **الا تطالعـان الصحف ؟** من الـذي سمح لمحمد بن عبد الله ان يصبح محمد بنعبد اللـه ... ومن اذن لسعيد بن رجب ان يتحول الى ... برجب ؟ لا .. هذه مسخـرة .. مسخ ومسخرة .

حيث : اهدئي يا أختاه !!

إن : لا المقالات سلمت ، ولا التحقيقات ، ولا حتى الاعلانات في الصحف.

ايضا : الاعلانات يتحمل وزرها المعلنون ؟

إن : نعم ؟ المعلنون.. وماذا يفعل المصححون.. وما دور **الصحيفة** ؟ **هه** ؟

حيث : دور الصحيفة .. تقبض عن الاعلانات !

ايضا : (**تلكزها** ..) كفاك هزلا .. الا ترين ما بها من تأثر !!

حيث : (**محاولة تغيير الحديث**) قومي يا ذات المجد الاثيل قومي وتمشي معنـا ..

إن : لا .. اتركاني وحدي ، أريد أن أجتر أحزاني .

ايضا : اقسمنا عليك ان تقومي .
... تقوم معهما ويتمشى الثالوث .. وبعد صمت قصير ..

حيث : (**تهمس لايضا**) الا يكون غضبها .. لنفسها أكثر ؟

ايضا : أتظنين ؟

حيث : بل أنا جازمة . اسمعي وسترين . (**تلتفت الى إن**) وماذا أصـابك أنت .. ما هذا الشحوب على وجهك المليح .. لعلك متوعكة ؟

إن : ... لو سلمت من الناس ؟

حيث : (**تغمز ايضا**) من الناس ؟ ماذا تعنين ؟

ايضا : نعم .. ماذا تقصدين ؟

إن : ماذا أقصد ؟ هل تعلمان كيف يعاملنى الناس ؟

ايضا : بالتجلة والتقدير .. فحين تكونين فى أول الجملة يبدؤونك بما يلزمك من الكسر ..

حيث : (**تحملق فيها بغضب**) ...

ايضا : (**مستدركة**) .. عفوا .. أردت أن أقول بما ينبغى لك من الخفض !

حيث (**هامسة**) هذا أهون .. (**تتوجه الى إن**) صحيح .. فالعرب يعرفون عنك تواضعك الجم .. وانك اذا اضطررت للظهور فى بداية أى كلام .. فلا أقل من أن تخفضى جناحك .. وهم يعاملونك على هذا الاساس .. فأنا لم أسمع مرة واحدة من يقول : أن فى أول الجملة .. من هذه الناحية .. اطمئنى .

إن : نعم .. نعم .. ولكن بعدك أنت يا سيدة (**حيث**) كيف يعاملوننى.. هه .. كيف ؟

حيث : المفروض .. اذا جئت بعدى تكونين أيضا مكسورة عفوا.. مخفوضة..

إن : (**بغضب**) ومع ذلك يفتحوننى .. يقولون حيث أن .

ايضا : (**تؤكد لحيث**) صحيح .. يعملونها .. سمعتهم والله !

إن : وبعد القيل والقال .. هه .. هه .. بعد القيل والقال .. كيف ينطقوننى ؟

ايضا : المفروض قيل : إن .. ويقال : إن ..

إن : (**بغيظ وأسى**) وهنا أيضا .. يفتحوننى .

حيث : (**تحاول أن تهون عليها**) كل هذا صحيح .. كثير منهم يفعلون ذلك .. ولكن لا تهتمى .. يكفيك الثقة فى نفسك والعزة بمجدك .

إن : مصيبتنا اننا نعيش على المجد الغابر .. ونلوك ماضينا الزاهر وكفى الله المؤمنين القتال .. (**تتوقف عن السير**) أبدا .. ان استعمالى بهذا الشكل يؤذينى وينهكنى . اما انتما ..

حيث وايضا : نحن .. ما بنا نحن ؟! هل تقع المسؤولية علينا ؟

إن : (**تواصل السير .. فيواصلان معها**) لا .. أبدا .. أردت أن أقول .. اما انتما فدماء الشباب فى وجهيكما والنضارة على محياكما .. وهذا طبيعى .

ايضا : طبيعي .. لماذا !؟

إن : أنت مثلا يا آنسة **(ايضا)** لا يمكن أبـدا استعمالك الا ... كمـا أنت . لا أحد يعكسك أو يعاكسك .. أنت دائما ايضا .. مهما كانت الظروف . **(تلتفت الى حيث)** وأنت .. لا أحد يتطـاول عليـك أو يهينك .. حيث .. دائما حيث ..

حيث : **(بنبرة فيها أسف)** أحيانا يثقلونني بالباء ..

ايضا : **(بحدة)** كفى دلالا .. حيث أو بحيث .. أنت دائما مرفوعة الرأس.. أقصد مرفوعة الذنب ..

إن : **(تواصل)** والاكثر من هذا .. كثرة الاستعمـال تحييكمـا وتبعث فيكما دماء الشباب . أنت مثلا .. الخطباء في المنـابر والاجتمـاعات يستعملونك كثيرا وأحيانا بلا موجب . يقولون : كـذلك ايضا .. ويكررون .. كذلك ايضا ..

حيث : **(تداعبها)** افرحي يا أخت .. حاسدك في النار ..

إن : وأنت ايضا .. ادخلي قاعات المحاكم . اسمعي المرافعات .. واقرئي نصوص الاحكام وستشبعين حيثيات .

حيث : أرأيت .. هذه نشترك فيها .. في المحاكم يقولون : حيث إن .. هذه سوقنا الرائجة معا

إن : **(تبتسم)** نعم .. في الهوى سواء .

ايضا : أرأيت ، أنت الآن أحسن حالا ..

حيث : والله يا أختاه .. هذه ظاهرة العصر .. الآن يقولـون المهـم فهـم المقصود .. **لا** الحرص على الصواب .

ايضا : ربما كان **هذا** صحيحا .. أشياء جديـدة ظهـرت ومفـاهيم كثيـرة طرأت .. في طفولتنا وشبابنـا .. لم نكـن نسمـع بالاسقاطية والجدلية والالسنية والشخصانية ولم نكن نعرف التمحور والبقرطة والصنصرة والكوادر ..

حيث : لا .. لم نكن نعرف ذلك .. ولم تكن امنا تعرف : المشوار .

ايضا : المشوار ؟

حيث : نعم .. ألا تسمعين الاذاعـات .. هكـذا سيـداتي وسـادتي نبـدأ المشوار .. ونأتي الى نهاية المشوار ..

إن : (**تبتسم**) هذه أخذوها عن الشرق .. واستعملوها كيفما اتفق .. فى موضعها .. وفى غير موضعها ..

حيث : وهى فى مصر .. من اللهجة الدارجة .. ولا تمت الى امنا ولا الينا بصلة ..

ايضا : مكتوب علينا أن نتلون كما يراد لنا .. اذا غزتنا الفرنسية نتفرنس .. واذا اغرقتنا المسلسلات المصرية نتمصر .. ويعلم الله ماذا فى غد !!

ان : لا .. انك تبالغين .. ولا أرضى لك ذلك .. ثم لا تنسي .. كل هذا من مظاهر التلوين اللغوى والتمازج اللفظى والاثراء الكلامى التى لا يخلو منها عصر انما الذى يحزننى أنا .. هو المسخ .. والطعن فى الاصل .. اسمعا هذه الامثلة .. وسوف تحكمان وحدكما .. وتعرفان ان لا أمل بعد اليوم .

ايضا : (**تهمس لحيث**) ها هى تعود الى الغضب بعد ما نجحنا نسبيا فى الترفيه عنها (**تتوجه الى إن**) يا إن العزيزة ما رأيك لو أجلنا البحث فى هذا الموضوع .. ان للعربية حماتها .. ولا خوف عليها .. هه .. ما رأيك .. تعالى نفرح باطلالة الربيع .. فالامل لا بد أن يعود .. كما يعود الربيع ..

حيث : معها حق.. الطقس جميل والهواء عليل.. وما أروع شمس الاصيل! هيا نمرح ..

إن : كما تريدان .. فلننس همومنا الى حين .

ايضا : انظرا .. انظرا الى هذه الفراشة .

موسيقى ..

احمد العموري

اعطوني الكَوْثر.. أعطِكم المعْجزات

• شعر : الحبيب الهمامي

① باسمها ابدأ :

يَا مَاءَ العُشْبِ تَسَاقط فِي جَسدِي
واجْعَلنِي حُلْمَ اليَابِس
وَاجْعَلنِي حُلْمَ الأخْضرْ
يَا مَاءَ العُشْبِ لكَ النبْض
ولكَ الأرْض .
قَالَ العُشْبُ المَائِي :
بُنَيْ ..
يَكفيكَ ولاَ تَطلُبْ أكثرْ
إنَّا اعْطيْنَاكَ الكوْثرْ .

② أمام النهرين :

جَلَسَتْ سَيِّدَةُ المَاء
مِنَ النَّهْدَيْن جَاءَتْنِي اليَنَابِيعُ
كطوفَان مِنَ الجَمْر وَشَقَّتْ سُتْرَتِي
شَقَّتْ ثِيَابِي الدّاخِليّهْ
ثمّ شَقَّتْنِي فَآمَنْتُ بِريح المَاءِ
آمَنْتُ بِنَار العُشْبِ
آه ... إنّنِي الجَالس فِي المَقْعَدِ
وَالحَالِمُ بالكوْثرِ

ضَيّعْتَ مِنَ العُمْرِ قَليلاً
وَعَلى نَهْرَيْكَ ضَيّعْتُ البَقِيّهْ

③ لـك البحـر :

لك البَحْرُ لي خِبْرَةٌ في الجَفَافِ
فَصُبّي دَمي في عُرُوقك
كي أتَصَالحَ فيكِ مَعَ المَاءِ
آه ...
وَأجْمَعُ اسْلِحَتي كلّها واسَمّيكِ نصفي
لِعَيْنكِ لونُ النبوءة
فاخْتَصِري البحرَ في نظرة
وافتحِي كَوْثرَ العِشْقِ فِيَّ
جميع الرّياح الرماحِ عليَّ
فكوني اتّجاهِي
وكوني دُخولي إليَّ
وذلك يكفي

* * *

أنا المُتَدَخّلُ في غُرْبَتِي
غرْبَتي خَيْمَةٌ في الرّمَادِ
ولاَ بَابَ لي
كي تخرّب أسْئلَتي طَرَقات يَدٍ يَعْرِفُ القَلبَ صاحبها
آه لا كفّ تعزف كفّي
وَفِي كلّ حين أفتّش عنّي أمَامي
وانّي المهشّم خلفي

1984
الحبيب الهمامي

ثنائي الصراع في رواية «عائشة»

بقلم : محمد كمون

تعودنا على وجود ابطال متميزين فى أغلب الروايات وهذا التميز يجعلنا عادة قادرين على تصنيفهم حيث يكون منهم المجسد للبطولة والرجولة والدفاع عن الحق والفضيلة وما الى ذلك من القيم السامية وفى الطرف المقابل نجد حاملى لواء الظلم والجبروت والكيد وما الى ذلك من أساليب المراوغة والانحطاط الى درجة الاسفاف أحيانا .

وبين هذين الطرفين المتقابلين يقوم الصراع الذى لا هوادة فيه ولا رحمة وحسب نوعية الرواية تكون الخاتمة . إما أن ينتصر الخير وهى العادة المألوفة أو أن تسقط الضحايا أمام تسلط الظلم وهو ما نجده فى المأساة .

إلا أننا فى رواية « عائشة » للاديب البشير بن سلامه أمام صراع من نوع جديد . أمام ثنائية للصراع لم نتعودها من قبل حيث لم نجد البطل الذى آلى على نفسه تغيير الاوضاع بعد التمرد عليها والثورة ضدها . كنت أتصور عند قراءتى لعنوان الرواية أننى سأجد نفسى مع « عـائشة » البطلة القادرة على تغيير الاوضاع المتعفنة ، الثائرة على نمط الحياة فى أسرتها وبيئاتها المختلفة إلا أن ذلك لم يقع ، وكان صراع جديد ، فيه واقعية وتغير ، تلميح وتصريح، باطن وظاهر ، ارتفاع وانخفاض ، صمود وتخل ، مجابهة واستسلام .

وهذا التناقض لم يقع بين طرفين متقابلين متميزين ولكن فى طرف واحد وفى فقرات متقاربة لا يفصل بينها أحيانا الا بضع دقائق .

المعادلة الأولى :

الظاهر $\neq$ البيئة القروية

(*) رواية « عائشة » : تأليف البشير بن سلامه ، طبعة 1982 .

يجأبه الطاهر عقلية تمسك القرويين بالبقاء فى القرية ويرسم لنفسه هدفا يتمثل فى الهروب الى العاصمة .

وفى هذه المعادلة نجد الطاهر ابن الخامسة عشرة من العمر « متبرما ببلدته متشوقا الى ما يقصه الناس عن تونس وعن الدراسة فى جامع الزيتونة وعن القصور الجميلة المنبثة حولها والحدائق والمقاهى والملاهى » .

الطاهر فى الطرف الاول متبرم ثائر تواق الى السفر (1) ، مستهين بالصعوبات ، متغلب على الاخطار ، محقق لهدفه المتمثل فى الوصول الى العاصمة رغم محبته الشديدة لأمه وعدم قدرته على مفارقتها .

وفى الطرف الثانى من المعادلة والده وأعمام صديقه « عبد الله » التسلط والتحكم والرضا بالدون والهوان وما فرضه المستعمر عليهم من عبودية وتبعية . معاملتهم القاسية للابناء . عدم افساح المجال لتقرير المصير . عدم القدرة على التربية السليمة « يا لتعس حظنا ! لقد جئنا يا « عبد الله » فى زمن اختلت فيه الامور وأصبح الكبار عاجزين عن تربيتنا متهربين من المسؤولية » (2) .

جيل مستسلم للعادات والتقاليد وجيل يريد أن يغير وضعيته بالهروب من البيئة التى يرى فيها التخلف والخنوع والمذلة .

المعادلة الثانية :

الطاهر ≠ البيئة فى القصر

الطاهر الذى درس ثلاث سنوات فى جامع الزيتونة متشبث ببعض العادات القروية مع التعلق ببعض المبادىء الاخلاقية السامية وميل الى الظهور بمظهر المثقف .

وفى الطرف المقابل « الفريك مصطفى » سيادة فى القصر ، عبودية أمام الباي .

---

(1) « عائشة » صفحة 10 .

(2) نفس المصدر ، صفحة 20 .

« عادل » هو افراز لوضع حاشية البايات المتعفن . انحراف جنسي . تناول حشيش . لعب قمار . ادمان على الخمر . استخفاف بكل القيم مع ميل ظاهري الى الادب .

انعدام التوازن في ثنائي الصراع :

في هذه البيئة الجديدة يبدأ اختلال توازن طرفي المعادلة ليصبح الامر كله متحركا ضمن شكل دائري ليس فيه طرف مقابل للصراع حيث إن المواقف لا تعدو أن تكون وقتية ليجرفها التيار الى الاتجاه العام الموجود في قصر « العريك مصطفى » .

هناك تفاعل داخلي للاحداث . عالم مستقل بذاته ، له قوانينه الخاصة ومساره العام الذي أصبح طبيعيا في نظر أفراده ما دام سادرا في طيات الكتمان والتستر في حين أنه يعكس صورة قاتمة لوضع متعفن لا يسعى القائمون عليه الى تغييره لان في ذلك التغيير نسفا لمصالحهم وقضاء على أهدافهم الشخصية وقد كانت المرأة في مسرح الاحداث الضحية أحبت أو كرهت ، انساقت أو تمنعت ، رضيت أو تبرمت .

وفي تفاعل الاحداث تكون المرأة هي محط السهام والنبال ، لا يهم العمر واللون والعلاقة والقرابة . تداس الحرمات . يعتدى على الكرامة ، تذبح الفضيلة دون شعور بالندم أو الحسرة .

كان في البداية طرفان للمعادلة ، مستنكر للدناءة وسادر في الفساد ، متشبث بالقيم ودائس لها ثم تلاشت هذه الظاهرة واندمج الطرفان الى حد الفناء في اتجاه دائري واحد ، مسرحه القصر وحدوده السياج الخارجي لذلك القصر الذي نستنتج أنه امتداد لقصور البايات في ذلك الحين ليمتد الى العاصمة ثم الى القرية .

« الطاهر » يمانع في البداية الى حد الثورة ثم يتخذ من « دوجة » خدينة ، « فجذبها اليه فلم تمانع بل أزاحت الغطاء واندست تحته » .

« زبيدة » عنوان الطهارة فى البداية لم تنساق مع عادل فى أمور (3) كانت تأباها وتترفع عنها .

« عائشة » لم تصمد بعد خروجها من القصر ووجودها فى البيئة القروية التى فر منها أبوها فى مقتبل عمره بل انزلقت عن غير دراية فى متاهات الفحش والابتذال بعد أن كانت رمز البراءة والطهارة لانها إفراز لبيئات لم تجد أصالتها وإنما عاشت فى الزيف المطلق الذى هو حصيلة النظام السياسى القائم فى ذلك الحين .

تغيـر ثنـائى الصـراع :

تكاد تكون البيئة هى المنتصرة فى كل الاحوال حيث إن أبطـال الـرواية يجرفهم التيار الذى يكونون ضده فى البداية . وبـذلك فان طـرف الكبـح والمعارضة والثورة يصبح فى ما بعد منساقا مع التيار الذى كان يعارضه إن لم يكن هو مصدر القضايا والمشاكل التى كان يحاربها بالموقف والرأى والفعل ويعمل على تحاشيها إن لم نقل القضاء عليها .

« عائشة » وهى فى السادسة عشرة من العمر مرت بأطوار عديدة ، « فطور قضته فى قصر « الفريك » تحف بها النعمة من كل جانب ويغمرها جـو من الفن والسمو والرفعة والتقوى جعل ملامحها تتربى على الرقة والنظرة المليئة حنانا وذكاء . وطور قضته فى حي قرب نهج الباشا تشهد وهى صامتة شريط الحياة اليومية الشعبية بحلوها ومرهـا ، بمفرحهـا ومحزنهـا ، بسفاسفهـا وعميقها وتعيش سير الزمن فى « العلو » بين مجالس العجائز وهيعات والدها ونزغات أخيها الناصر ... وها هى اليوم تدخل طورا آخر من حياتها لا ترى فيه الحياة الحضرية ... فهى مسجونة فى هذه الدار لا خروج ولا دخول اللهم الا المتنفس الوحيد « باب الجنان ... » (4) .

الى حد الآن ليس هناك ما يشير الى أى تحول فى المنهج السليم وليس هناك ما يخيف على هذه البنت « عائشة » ما عدا عدم خبرتها فى الحياة وعدم تهيئتها لخوض غمار الدنيا بحلوها ومرها ويسرها وعسرها واشراقها وعبوسها .

---

(3) نفس المصدر ، صفحة 71 .
(4) نفس المصدر ، صفحة 136 وصفحة 137 .

الى حد الآن « عائشة » لا حول لها ولا قوة ، ولا اختيار لهـا ولا قـرار لها. تحركها بأمر من أبيها . وسلوكها رهن اشارته . وهى بدون شك حالة البنت فى ذلك الحين « لقد علمتها الحياة أن تسكت ولا تنبس بكلمـة ممـا يـدور بخلدهـا » (5) .

فكيف كانت بداية التحول ؟

التعرف على « سالم » الانيق ، الطيب ظاهريا ، المتميز بحب الكتب .

وقد مر هذا التعرف بمراحل متعددة الى أن أفضى الى ما لا تحمـد عقبـاه بالنسبة لـ « عائشة » التى هدتها المصيبة « ولم تقـرأ حسابـا لعـاقبة مـا انساقت اليه » (6) .

وقع التحول وضاع مستقبل « عائشة » ولكنها أصبحت مصدر استقطاب حيث داست قيما اجتماعية واخلاقية حيث تعمدت ربط صلة لا يقرها الشرع والقانون بأحد أبناء أخ زوجها الثانى ، ذلك الزوج الـذى ناهـز السبعيـن وسيقت اليه سوقا بعد أن فقدت الحياة فى نظرها كل قيمة « ويأتى الازهر الى « عائشة » فتحتضنه ... » (7) .

لقد تعمد الكاتب جعل « عائشة » هى الراغبة فى هذا المسلك الجديد من حياتها ، وبذلك وقع التحول الكلى من الطرف الاول للمعـادلة الى الطـرف الثـانى .

وهذا ما يمكن أن نجده عند أغلب الشخصيات فى الرواية حيث يقع التحول من حالة الى حالة ولذلك فالصراع ليس بين جبهتين وانما هو صراع داخلى يفضى الى الفناء والضياع بصور متعددة .

العلاقة الكيفية بين الاحداث :

إن العلاقة الكيفية بين الاحداث فى رواية « عائشة » هى علاقة تكاد تكون

---

(5) نفس المصدر ، صفحة 136 .
(6) نفس المصدر ، صفحة 151 .
(7) نفس المصدر ، صفحه 100 .

واحدة فهى إما تولد الانهيار من الضعف ، أو التـدرج بالقـوة الى الضعف ، وبالضعف الى الانهيار ، وبالانهيار الى الفناء بصور مختلفة ، قد تكون ناتجة عن التقدم فى السن بعد ضياع السطوة والجاه والقدرة على اتخاذ القـرار ، أو تكون ناتجة عن تكاثف المشاكل وسلوك مسلك اللذة وتلبية رغبـات الجسـم المادية دون مراعاة الناحية الروحية فى غالب الاحيان .

كان الواقع الاجتماعى والسياسى فى ذلك الحين طاحونة لم يسلم من رحيها أحد ، بصورة بطيئة تفضى الى الاضمحلال والضياع وبذلك كان التشابه فى مجرى الاحداث مع تنوع الصور .

فـ « زبيدة » قوية الشخصية فى البداية لم يتمكن « عادل » من استدراجها « شكته الى سيدتها ونبهت أمه عليه تنبيهـا صارمـا ... » (8) . بـل كان يخشاها رغم مكانته فى القصر الى درجة أنه طلب من « طاهر » أن يتوسط له عندهـا .

هذه الفتاة التى كانت رمزا للطهارة والاباء هى التى تخـون زوجهـا مع « عادل » ويمكن أن يكون « ناصر » ابنهـا نتيجـة حتميـة لعلاقتهـا بـه . ولم يقف الامر عند ذلك الحد بل تصبح يوما ما فى نظر طاهـر لا قيمـة لها حيث يتزوج امرأة ثانية ويحيلها هى على « التقاعد » ، وقد أصبحت لا يهمها من الامر شىء اذ هى تعتبر نفسها منذ زمان متاعا ، أو شيئا يتصـرف فيـه الطاهر من دون مشاورة أو أخذ الرأى » (9) .

العلاقة الكمية بين الاحداث :

وتتزايد الاحداث الى درجة التزاحم فى بعض الاحيان الا أن تزايدها يوسع دائرة الصراع ويقوى جبهة المواجهة بين الاطراف الذين تتغايـر نفسيـاتهم وتتباين أهدافهم . وهو صراع فيه حدة وهدوء ، شدة وفتور ، بروز وخفاء ، تلميح وتصريح ، رمز ووضوح .

وهذا التنوع أضفى على الاحداث رغم كثرتها طرافة وجـدة فهى أحيانـا

(8) صفحة 78 .
(9) صفحة 153 .

مترابطة حيث يعتبر بعضها نتيجة حتمية لما سبقها من أسباب وهى طورا آخر فجئية تفاجئنا بعدم تماشيها مع تسلسل الاحداث وهى مع ذلك منعرج جديد لاحداث الرواية .

إن كثافة الاحداث وتنوعها جعل شخصيات الرواية فى صراع دائـم مـع الواقع الذى لا يتغير الا من سىء الى أسوأ رغم فترات الانفراج التى تلوح من حين لآخر . إن تحسن الاحوال يكون عادة على حساب التغاضى عن بعض القيم والمبادىء فالعطاء بمقابل . والرفع من المستـوى لا بـد من ثمـن لـه . فالانسان فى رواية « عائشة » حائر الى حد التذبذب أحيانا . تائه فى متاهات الحياة لان الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى ذلك الحين اعتراها الوهن وتحكمت فيها المحسوبية والوشاية والاطماع والتسلط والجبروت .

إن الاحداث فى علاقاتها الكمية لا تهادن ولا ترحم ، واثر هدوئها النسبى زوبعة وانفجار لان أرضية الحياة غير مستقرة فى ذلك الحين والبلاد لا يتحكم فيها أبناؤها بل هى نهب للاجانب ومن لف لفهـم من البايـات وحـاشيتهم وأتباعهم وأعوانهم .

« عادل » كان فى البداية لا هم له الا أموره الجنسية « فهو يرتع بين ثالوث من النسـاء ... » (10) . ثم واجه قضية ثانية تتمثل فى تمنع « زبيـدة » . لكن يظهر أن ذلك هو وسيلة للهروب من واقع يراه الناس مشرقا فى حين أنه واقع أليم بالنسبة اليه . حاول أن يخفف من أزمته النفسية عن طريـق إشباع ميوله الجسدية الا أن ذلك لم ينفع ولم يفد « أنـا يـا طـاهر ضحية المجتمع الذى أضاع قيمه الانسانية ولم يقدر على الايمان بقيم هـؤلاء القـوم الاجانب الذين يحكموننا اليوم ... أنا الذبذبة بعينها والخذلان المجسم » (11).

ويزداد الامر تأزما بالنسبة الى « عادل » حين أظهر ميوله الوطنية ليشارك فى الحركة التى يقودها المثقفون للحصول على بعض الاصلاحات الاجتماعية إلا أن الطبقة الشعبية رفضته ولم تقبله لانها ترى فيه وفى عائلته صنيعـة من صنائع الباى المرتبطة كليا بالنفوذ الاستعمارى « قصره كقدر الحلزون اذ ياكل

---

(10) صفحة 75 .
(11) صفحة 78 .

بعضه بعضا : الكبير من الخدم يظلم الصغير ، ويتعدى عليه في ماله وبدنه وشرفه ، والاسياد يعيثون في مال الفريك بالتبذير والعبث والاسراف وهذه العجائز الرائحات الغاديات على القصر يسلبن الاموال ... وينهشن الاعراض ويحكن الدسائس والمؤامرات ... » (12) .

ثم إن « طاهر » نفسه الذى كان يعتبره « عادل » صنيعة له ولأبيـه لأنـه انتشل من وهدة الفقر عن طريق القصر ، تآمر ضده وتعمد إهانتـه وإدانتـه ولكنه جابهه قائلا : « أنتم الوصوليون الفقراء الذين تعتـزون بقـدرتكم على اقتحام الحياة بجرأة ، ورقاعة لتقويم الناس وتأديبهم وإشاعة العدل نقمة على ذوي اليسار الضاربين فى الحضارة والمدنية أخطر الناس على البشـرية وعلى الفقراء مثلكم » (13) .

وتزيد الاحداث اظهار أزماته النفسية وما يعانيه من تمزق وما يأكل روحه من نقمة وثورة على أقرب الناس اليه . فهو لا يعرف مفهوم العطف والحنان ، ولا وجود للاحترام والتقدير فى طيات نفسه لانه يستنقص حالة زبيدة ويراها كغيرها من النساء لا فضل لها ولا سمو ولا رفعة . هذا منتهى التأزم النفسي والضياع الروحي » ولهذا فانى أكرهها لانى أعتقد أنها كانت تقع فى حبائلي مثل غيرهـا . وهى لا تمـاثلهم الا لانهـا عني وعن غيـرى فى حصـن مـن الآفـات » (14) .

وتشمل هذه النقمة والده « الفريك مصفى » بل هى نقمة أشد ضراوة وأكثر حدة « هذا والدى وهذا بيته ... سياسته سياسة النعامة ... سلوكه سلوك الغاشمين » (15) .

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل نعداه الى النقمة على الدنيا كلها « أنـا أكره هذه الدنيا وهذا المجتمع وهذا القصر ... لو كانت في جرأة ... ورجولة لنسفت هذا القصر وقوضته بما فيه ... إننى أكرهكم كلكم » (16) .

---

(12) صفحة 85 .
(13) صفحة 84 .
(14) صفحة 86 .
(15) صفحة 86 .
(16) صفحة 84 .

هذه عينات من العلاقة الكمية بين الاحداث فى رواية « عـائشة » وهى الاحداث التى تقلب دوما طرفي المعادلة لتجعل الامور تسير فى اتجاه واحـد تتدرج من السيء الى الأسوأ فينعدم طرفـا الصراع ليصيرا طرفـا واحـدا تتفاعل فيه التيارات ، وتنحته العوامل الداخلية والخارجية حتى يقع الانهيار التدريجي للشخصية مهما كانت قوتها أو ترفعها فى البداية .

نهايـات ثنـائي الصـراع :

ليس هناك قوي قوة مطلقة فى شخصيات رواية « عـائشة » فكلها قـوية ضعيفة وضعيفة قوية ، تتأرجح دوما بين العلو والانخفاض والصعود والهبوط والسمو والاسفاف .

الحركة دائرية تفضى الى الذوبان والاضمحلال ، تنسد المنـافذ فتتـرك ترسبات ، تلك الترسبات تنحت الشخصية وتضعف مقاومتها حتى تنهار كليا أمام الضربات التى تتلقاها من الناس ومن المجتمع .

« أبي محمد » : صمد فى البداية وحول مجرى حياة ابنه طاهر ولكنه انهار فى الاخير وأكلته الحسرة على مستوى الدناءة التى تردى فيها ابنه «الطاهر» .

« الطاهر » : أضاع شخصيته وبقي يتعاطى الحشيش رغم تقدمه فى السن، مع عدم القدرة على تسيير شؤون أسرته .

« الناصر » : تقلب بين الانحراف والسجن ، أتى من الفواحش ما جعله فى أسفل درجات الحضيض .

« عادل » : نهايته السجن لانه مورط فى قضايا أخلاقية بعد أن رحل العز الذى كان يرتع فيه .

« عائشة » : بعدما كانت عنوان الطهارة أصبحت المبتذلة المنحرفة المريضة الى أن قضت نحبها بمرض السل .

« الأزهر » : فقد أصيب فى يده اليمنى التى « دقـت دقـا » . فقد أصبح مشوه الجسم بعد أن كان شابا يافعا يتقد حيوية وقوة .

« خالد » : أصيب بشلل نصفى وأصبح غير قادر على النطق المفهوم بعد أن كان حرا طليقا يرتع فى ربوع أوربا .

« سالم » : نهايته فى حرب الهند الصينية وقد يفلت من الموت وقد يكون هدفا لاحدى الرصاصات دون أن يكون مدافعا عن قضية تهمه .

« زبيدة » : التقاعد الزوجى الى درجة أن الطاهر أصبح يناديها « يا أمي ».

تبرز لنا هذه النهايات المفعول السيء للاوضاع السياسية والاجتماعية التى تردى فيها المجتمع التونسى من بداية العشرينات تقريبا الى الحرب العالمية الثانية .

الخاتمة :

إن الانسان هو صانع مصيره الا أن مأساته تتمثل فى وجوده فى بيئة لا تساهم فى توفير المعطيات الضرورية لتأمين سلامة المسير .

ولهذا فرواية « عائشة » للاستاذ البشير بن سلامه أظهرت الانسان فى تلك الفترة من التاريخ على حقيقته بصورة فيها عمق وتشويق ، وتسلسل ومفاجأة

فهو ينطلق من الواقع المعيش فى البيئات المختلفة ويحدث بينها خطأ رابطا فلا تشعر بالانقطاع والتكلف .

فالبيئة القروية ربطها بالبيئة المتحضرة وبالبيئة الموغلة فى التقدم والتمدن رغم زيفها وبريقها الخادع .

إن رواية « عائشة » نبع ثري للاستخلاصات والاستنتاجات فهى من القلوب قريبة ، ومن الارواح أشد التصاقا ومن النفوس أكثر احتكاكا ، تفتح النوافذ على أوضاع قد تدخل البهجة على النفوس وقد تدخل عليها الكدر وقد تصدمها الى درجة الاستنكاف . ولكن الواقعية هى التى تحتم أن يبرز الاديب أدق الجزئيات مهما كان نوعها عن طريق التصريح أو التلميح أو الرمز .

إن رواية « عائشة » تحمل القارىء على التفكير فى مصير الانسان التونسى أيام الاستعمار وتجعله يقدر ضراوة النتائج التى أصابت الشعب بكل طبقاته وفئاته ومستوياته . هى نتائج بشعة قذرة دنيئة ، ساحقة ماحقة لم

يسلم منها ضعيف ولا قوي ، كانت الاوضاع كالنار التي تأتي على الاخضر واليابس والحي والجماد لان البلاد ليست في يد أبنائها .

إن « رواية عائشة » منبع ثري بالتأملات والايحاءات التي يمكن للانسان أن يجد فيها زادا لتحليل أوضاع عاشها الشعب التونسي وتضررت منها المرأة التونسية خاصة .

وفي « رواية عائشة » جدلية بين الحاكم والمحكوم ذهب الجميع ضحيتها لأن الحاكم في ذلك الحين عبد لنظام استعماري والمحكوم أسير أوضاع فرضت عليه بالقوة ومع ذلك فهناك قلوب نابضة وعيون ساهرة شعرنا بوجودها ويمكن أن تبرز في الاجزاء اللاحقة من رباعية « العابرون » التي تعتبر « رواية عائشة » جزءا منها .

ويقيني أن في الرواية جوانب أخرى يمكن ابرازها بعد التروي والتمحيص لانها ناتجة عن معاناة وعن تفاعل حقيقي مع واقع أصبح أثرا بعد عين ، وذكرى في الخيال تدمي العيون وتقض المضاجع . ولكنها الحياة بتجاربها والدنيا بمرها وحلوها .

محمد كمون

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

المرأة تفكر بقلبها والرجل يحس بعقله ، فأنى يلتقيان !؟

***

الحي أحيى ما يكون غائبا بل ميتا !

***

مساكين أدباؤنا الذين يؤبنون لو استمعوا الى ما يقال عنهم لأرسلوها ضحكة مدوية هزءا بوقارنا المصطنع ورصانتنا الكاذبة ، ومن كل ما يلفق ويزوق ويفترى صلفا وادعاء وظهورا ، ولصاحوا بنا : قليلا قليلا من الحياء ! كفى تهريجا وإسفافا ! ألا كلمة صدق واحدة تقال لمن في عالم الصدق والصفاء !؟

***

صرنا نخجل ، نحن البشر ، من بشريتنا .. نمقتها .. نلعنها .. ننتكر لأبسط مظاهر حياتنا المألوفة ونشاطنا المعتاد . كفرنا بكل ذلك . لم نعد نفقه له معنى .

لم يعد هناك مستقبل . لقد جمد الزمن ، أجهز عليه .. وانفتحت هوة العدم تفغر فاها .. تطالعنا .. ترصدنا .. تتعجلنا .. تغرينا بالوثبة الكبرى .

الخوف من الغد الرهيب .. من شبح الدمار والفناء .. من انتحار حضارة آلاف السنين .. من صنوف الأذى وألوان القبح والتشويه

المصاحبة للنهاية الحتم أفقدنا شهوة الجنس .. زهدنا في لذائذ الفن ..

بغض الينا طيبات الحياة .. أعدم فينا الانسان وقتل معنى الوجود !

⁂

الكمال ضحكة في وجه الفناء والموت !
الكمال صنو البقاء والخلود !

⁂

ذلك التعاطف ــ من خلال كلم القرآن وبواسطة هذا الكلم ــ مع عالم الغيب وآفاق الروح ، ومع الوجود أجمع . ذلك التجاوب العميق مع الارض ، والماء ، والشجر ، والثمار ، والطعام .. مع الحيوان فينا ومن حولنا ، وعليها جميعا مسحة من القداسة المشرقة المأنوسة تعززها هندسة النظم وروعة الموسيقى .. ذاك هو جوهر التشعر الحق تعرفه النفس ، وتسكن اليه ، لأنه يخصها ويعنيها ، ويخاطب الأعماق منها .

⁂

الكتاب الذى لا يخرجك منه ، ولا يدفعك عنه ، بعيدا عن إسار الورق وجمود الحرف الى وهج الواقع وخضم الحياة ليس بكتاب .

⁂

لكأنك باعتزالك الفن وعكوفك على المهنة والكسب تؤثر الزوج فتخون الحبيب .

⁂

لأن اجتهد فأخطىء خير من أن أقلد فأصيب !

البشير المجدوب

عائلة شعرية

شعر يوسف رزوقه

① أحمد عبد المعطي حجازي :

نَبْتَةٌ في خرَابِ المَدينةِ تَسْأَلُ : أَيْنَ الفتى ؟ ..

....

وَالفتى حينَ جاءَ ،
تَجَمْهَرَ جَيْش الشَّذَا حَوْلَهُ ، واطمأنَّتْ لَهُ ألفُ يَدَ
كانَ إذْ عادَهُ طائرُ الزنْكِ ، ضمَّ الخُطى وارْتعَدْ ..
ثُمَّ كانتْ رياحٌ وأسئلةٌ ، فابْتعَدْ ...
هكذا لقّنَتْهُ المدينةُ إنْجيلَها الحَجَرِيَّ ، إذَنْ ؟ .
(وَالفتى كانَ مُلْتفعًا بمعاني البداوةِ والإخضرارْ ..)
تَقُولُ لَهُ حبّةُ القمْحِ : عُدْ ...
فَتلاَ نَبْعَ في أرْخبيل العَلائِقِ ، للارْتواءْ ،
وَمُنْذُ ارْتحالكَ أنتَ وَنَحْنُ انطواءْ ..

....

اعْتَرِفْ أَيُّهذَا الفتى :
لِمَ غادَرْتَ مِصْرَ وَنيلُ الجماهير مُعْتَكِرٌ وَغَريبْ ؟ ..

② ريما كازاكوفا :

رَاءٌ أمامي وَالقصيدَةُ بينَهُما ..
فَتَحَتْ ذِرَاعَيْهَا لطفل شاعِر .

وَمَضتْ تعلّمُهُ حكاياتِ الرّمادْ ..
فِي صَمْتِها : عُشبٌ يَمُوءُ ،
وَمَنْزِلٌ يَكتظ بِالكلماتِ وَالقمرَ المُقيمْ ،
فِي صَوْتِها : حَجَرٌ يُفكرُ ،
أرْنبٌ حُرٌ يَنُطُّ ،
وَجَدْوَلٌ ضالٌ يُرَوِّي مُهْجَةَ الكلإِ القديم .
وَأقُولُ للبَحْرِ : انْتَحِرْ ..
نَحْنُ الْتَقَيْنَا رُغمَ أمْوَاجِ الحَوَاجِزِ والجَحِيمْ .
وَأقُولُ للشعْرِ : انفَجِرْ ..
نَحْنُ اكتَشَفْنَا مَنْجَمَ الظمإ العَظِيمْ .
رَاءٌ أمَامِي ، وَالقصِيدَةُ تَمتَطِي أعْتَى جَوَادْ ..
وَتَغِيبُ فِي سُحُبِ الغُبَارْ .

③ سعدي يوسف :

ذَاهِبٌ ، فِي عَذَابِ السُّؤَال ،
وَمُنْخَرِط فِي لظى الكلمَاتْ .
لَهُ قَلَقُ النَّسْر وَهْوَ يُحدّقُ فِي مَا وَرَاءِ السَّمَاء ..
لَهُ غِبْطَةُ الشوْك حِينَ تُرَاودُهُ فِي شَبَابِ الظهِيرَةِ ، قَطرَةُ ماء .
وَإذْ يَتَمَلَّكهُ ألمٌ كاسِرٌ :
يَتَأبّط وَرْدَتَهُ وَيَنَابِيعَهُ وَيُقرّرُ تَوّا ..
إلى أيْنَ ؟ : كلّ الجِهَاتِ لَهُ ..
وَلَهُ أنْ يُسَافِرَ بَرّا وَبَحْرا وَجَوّا ..

....

أقُولُ لَهُ : أيْنَ أنْتَ ؟

فيَصْمُتُ حتّى انتِفاءِ المسَافةِ مِنْ حوْلِهِ ..
وأرَاهُ كما شخصته القصيدةُ لي :
طائرًا يتخبّط في قفَص الكلمَاتْ .

④ غولروخسور صافييفا :

شجرَ البتُولا ، لا تقَعْ ...
هجَمَتْ عليّ جحافِلُ الفرَح المُجنّح والجشَعْ ،
فوَقعْتُ في شرَك القصيدة حافِيا .
صلّيْتُ في محرَابِهَا القُدُسي أسْبُوعيْن ، فاشتعَلَ الجمَادُ
وذابَ جلْمودُ الشمَع ..
شجرَ البتُولا ، لا تقَعْ ...

....

هي في القصيدة عالمٌ نُسفتْ حواجِزُهُ تمَامًا ، فاتّسَعْ
مَا أضيَقَ الدنيا بما رحُبَتْ ! ..
أرَاني خاشعًا ،
أرْخي يدًا لتنَامَ بيْنَ أصَابعي قرْطاجُ / دُوشنبي ، معًا ..
كانَت مُغامرَةُ القصيدة بلْقعًا ..
فإذا تهَاطلَ في دَمي مَطرُ المسَافةِ والهلَعْ :
أيقَنْتُ أنّي شاعرٌ فذّ تُرَاوِدُهُ الرّياحُ ، ولا يقَعْ ..
شجرَ البتُولاَ ، لا تقَعْ .

يوسف رزوقه

الحقد الاصلع

ابداع : نعيمة الصيد

الملح يمتص نسغ أرضي ...
يحرق الفرح فى عيني ...
يختم الراية بالحزن ...
يا مدينتي يا صوتي يحتضر ...
يا جسدا طفلا ... تأكل شرايينه
مسامير الدخان الاغبر ...
يمر الشتاء وتبقين دفءا ...
وهذا الشتاء يمر ويحرقك البرد ...
يشعلك ماء الحقد نارا ألبية توهج...
عيناي بالدمع مغلقتان ...
أين أخبئك ..؟
كل الممرات مقفلة ...
وجسدك عشقي تنهشه الغربان ...
انطفأت قناديلك المتوهجة ...
والوحشة المرة تصعد من قلبي
الكلمات ...

نثار موج غاضب ...
من أين تاتي الراحة ...
وجراحك تتعمق فى نهري ...
والمقصلة تجتث أعناق بلابل ترفع
رؤوسها الى أعلى بالغناء ..؟
أأبكي ..؟
يرعبني حقد العصر التتري الأرعن...
وهذا الطحلب يغفو على سطح
البحيرة ...
أسمر وجهي فى رملك ...
ينوء رأسي ...
يلفه دوار نباح الليل ...
من أين جئت يا حبيبتي بمناجم هذا
الحزن ...
وباغت عشاقك المتعبين ..؟
أأستريح ..؟ أأستريح ..؟

والحقد الهمجي يدثر أفخاذك المصلوبة
في الريح ..؟
يعطر نهودك باحتضاري ...
وشيخ القبيلة يتاجر بالعشق
المغشوش ...
في رحم صحرائك الحزينة ...
فتتوالد أنهار نار الرغبات ...
تعلك أعصاب أطفالك ...
تخلع وجوههم خلعا ...
تحصد عجلات السبي سنابل ليل
ضفائر حبيباتك ...
آه ... ضيعتني الذاكرة ..!
وعصافيرك تعلق نعاسها الازرق ...
على أهداب الريح الصفراء ...
تتقيأ لحمها ... في انتظار ...
أن يشب الفارس العربي ... ويفك
سلاسل الحزن ...
فيدرك الضوء الظلمة ... يبددها ...
وتعودين يا مدينة الفرح الحلو ...
شمسا ضاحكة ... ترقص .

نعيمة الصيد

تونس 3 ـ 4 ـ 84

مرثية القلب المذبوح

شعر : حلمي الزواتي

[الى معين بسيسو فارس الكلمة المقاتلة]

انهض من الموتِ واهتف أيها الرجل   انهض من الموتِ لا شكوى ولا عللُ

انهض قويا فما كلّتْ عـزائمُـنـا   كلاّ وما خابتِ الآمال والمُثُلُ

كَـم ابتنينا عروشاً منْ جَماجمنا !   وكم روينا صحارى ما بها بللُ !

وكم مشينا دُروبا كانَ أيْسَـرُهـا   دَرْبُ الحِمام ! فلا خوف ولا وجل

إنا رَفعنا على الأنجادِ رايتَنَـا   وفوق كل ثرى تزْهو لنا الشعلُ

* * *

يا فارس الشعر هل أزجيك مكرمة   وأنت للشعر صدّاحٌ وَمرْتَجِلُ

تأبى الخيولُ طرادا دُون ساحَتها   أما الذئابُ فبالأوكار تحتفلُ

هذِي فلسطين قد أرْخت غدائرها   تبكي الرجالات من غابوا ومن رحلوا

إنا شربنا بكأس العزّ مَقْتلنـا   والآخرون بكأس الذّل قد ثملوا

* * *

كيفَ السبيلُ وسيفُ الحقّ مُنثلم   والغاصبون بعُقر الدّار قد نزلوا ؟

كيف الرجوع وأوطاني مجزّأةٌ   والحاكمونَ لنا خانوا وما بذلوا ؟

قالوا ضلالا بأنّا لم نكنْ دُوَلا   بئس المقال بما قالوا وما فعلوا !

في كلّ وكر لهم يختاننا وَثَنٌ   شبه الرجال وفي أثوابه « هُبلُ »

ضاعت فلسطينُ لم نثأرْ لحرْمتها   أينَ الحماةُ ! فهل ماتوا وهل سحلوا ؟!

* * *

يا فارس الشعر قد عمت مصائبنا   حارَ الزّمانُ بنا ، بل ضاقت السُّبلُ .

نلقى الهوانَ وما أدراك محنتَنَا !   شابَ الوليدُ لها والعرُبُ تحتفلُ

سبعون يوما وشعبي للعدى هدفٌ   رقّ الحديد لبلوانا وما خجلوا
حربا على الأهل مازالت مصعّرةً   أين الأباةُ وأينَ الفارسُ البطلُ ؟؟
في كلّ زاويةٍ ، في كلّ منعطفٍ   دمٌ يُراقُ على ساحتنا هَطِلُ
تبكي الثكالى وما تبكي سوى وطن   ماتَ الحياءُ به وانتابهُ الشّللُ
أما رأيتم شعوبا قادهم صنمٌ   عاشوا على الذّل ، بل من نبْعِهِ نهلوا

* * *

آمنتُ بالسيف يمحو عارَ أمّتنا   دربُ الدماءِ طريقُ ماله بدَلُ
ثاراتُ أهلي وهل يروي بها ظمئي   غير الرصاص ونار الثأر تشتعل ؟
نمضي إلى الموت لا نخشى نوائبهُ   لا ينتهي العمر حتى ينقضي الأجلُ
نسقي الربوع دمانا كلما ظمئتْ   تروى الدماءُ أقاحي فرعها خضل
ويل الشعوب التي تُغضي على صغر   تحيا على العار ، بل بالعار تشتمل

* * *

يا فارس الشعر هلاّ جئت مُتشحاً   سيفَ الفداء ورُمحا ما به خطل ؟
إني أراكَ وفي عينيكَ أسئلَةً   تُدمي القلوبَ إجاباتٌ بها عذَلُ
هذي الطواغيتُ قد جاءت لنعبدها   هل يعبد الناس ربا طبعه الدّجل ؟
هم يسطون لجيش الغزو راحتهم   أما الأباةُ فبالأصفادِ قد كبلوا
أسيافهم في قلوب الشعب محكمةٌ   تفري وتقطع نشوى ما بها كسلُ

* * *

أخي معين وهل مازلتَ تسألني :   ماذا دهانا وما يجري وما العمل ؟
ينأى الجوابُ حياءً منْ تمزقنا   يبدو فيحجب أنفاسي وينسدلُ
قد قيل : إن عدانا أهدروا دمنا   ونحن نهدُرُهُ دوما ونَقْتَتِلُ
إنا إلى الله نشكو حالَ أمتِنا   يا ربّ إنا إليك اليومَ نبتَهِلُ
من كان يبعث في الأعراب نخوتهم   تلك العقيدة والقرآنُ والرّسُلُ
إن لم نوحد على الايمان خطوتنا .   فلا أظنّ بأنّ النصر يكتمِلُ

حلمي الزواتي

نحو تصور استراتيجي لشروط العمل الاجتماعي العربي المشترك

بقلم : المنصف وناس

مقدمة عامة :

العمل الاجتماعى العربى المشترك (*) ، هذا المفهوم الشائع فى الاستعمال السياسى ، يحمل عديد الدلالات والمعانى · ورغم كثرة الاستعمال ، فان هذا المفهوم لم يفقد معانيه الجوهرية · فهو يعنى التدخل القومى المشترك فى مختلف مجالات العمل الاجتماعى وضبط معايير سياسة تكاملية فى هذا الميدان ، وفى ذلك تجاوز للسياسة القطرية المحدودة من حيث الامكانات والكفاءات وتوفير لمناخ قومى من الحركية ·

فقد طال الاهتمام العربى بمجالات العمل السياسى المشترك ولكن نتائج نصف قرن كانت ضئيلة أو تكاد تكون منعدمة · فالاهتمام بالمجالات الاجتماعية اقرار بفشل العمل السياسى وضرورة البحث عن مصادر بديلة للعمل المشترك ·

العمل العربى المشترك بدأت ملامحه تتضح أكثر فاكثر ويبرز كعنصر متميز فى عملية البناء الحضارى العربى ·

وهذه الخطوة استجابة لتطلعات قومية وانسانية وفى ظل واقع يتميز بالتباين السياسى والتناقض الجوهرى ·

(*) مساهمة مقدمة فى اطار استراتيجية التنمية الاجتماعية · ادارة العمل الاجتماعى — جامعة الدول العربية ·

ومن منطلق أن الواقع الاجتماعى العربى أرضية للعمل الاستراتيجى العربى بما يتيحه من امكانيات وكفاءات ومشاكل مستعصية ، فانه من الضرورى الاسراع بوضع استراتيجية قومية للعمل الاجتماعى • فالعمل الاستراتيجى فى أى مجال من المجالات تجاوز للموقف السياسى الذى يتسم بالآنية والظرفية • فاذا ما كان مجال العمل السياسى متعثرا لظروف هيكلية ومنطقية فان مجالات أخرى قادرة على أن تفيد الانسان العربى وتجنبه العثرات • وفى مجال العمل الاجتماعى فان جهود العمل المشترك جهود حديثة لان التعاون الاقتصادى هو الطاغى على الانشطة المشتركة .

ولقد بدأ الآن الاهتمام يتجه الى العمل الاجتماعى باعتباره ميدانا للعمل المشترك .

فما هى الشروط الابتدائية لانجاح المشاريع الاجتماعية العربية المشتركة ؟

ان نجاح أى مشروع عربى مشترك مرتبط بتوفر حد أدنى من الشروط التى تضمن استمرارية هذا المشروع خصوصا فى مجالات العمل الاجتماعى •

ان العمل الاجتماعى وسائل وأساليب واختيارات • ومن ثم يتوجب تحديد طبيعة الوسائل المستعملة (عمل ثنائى على مستوى الاقطار أو قومى أو بواسطة المنظمات العربية والصناديق المتخصصة) ونوعية الاساليب (تقديم الاستشارة أم الاكتفاء بتقديم المعونة لكل تعاون قائم) والاختيارات (الفلسفة والتصور للعمل الاجتماعى) • ولا يمكن أن ننكر أن الساحة العربية تحوى العديد من المشروعات الاجتماعية المجهضة وشبه الميتة والمرتبكة وذلك يعود الى عديد الاسباب :

- الارتباك السياسى والسرعة فى الانجاز وانعدام الرؤية الواضحة لهذه المشاريع
- غياب أساليب محددة فى مجال العمل الاجتماعى وضعف مقدرة الوسائل على الحركة •
- عدم وجود فلسفة أو استراتيجية تخطط وتبرمج العمل المراد انجازه •

ولنأخذ مثالا على ذلك : ان تنقل العمالة بين بلدان المغرب العربى وأقطار الخليج العربى لا يخضع لرؤية استراتيجية ولا تنظيم اجرائى تأخذ بعين الاعتبار الحاجيات الاساسية للاقطار المصدرة والمتقبلة لليد العاملة .

فموضوع تنقل العمالة من قطر الى آخر يمكن أن يجسد فعلا بداية عهد جديد من العمل الاجتماعى العربى المشترك ، لو حددت الاساليب والوسائل والفلسفة .

وليس من باب التشهير القول بأن الوطن العربى يحتاج الى مسح شمولى لكل أوجه الاحتياجات التعليمية والصحية والاقتصادية ومختلف أصناف الكفاءات والمهارات العربية التى يمكن أن تسد هذه الحاجيات .

ومثل هذا المسح ضرورى لانه يحدد مجالات العمل الاجتماعى العربى المشترك والا تحول العمل الى ارتجال وارتباك وفوضى .

ولسنا فى حاجة فقط الى مسح للاحتياجات والكفاءات بل الى تخطيط أشكال الملاءمة بين الحاجة والامكانية .

ولذلك فغياب هذه الملاءمة وانعدام توظيف عقلانى للكفاءات العربية فى سوق الحاجيات يلجئان أقطارا نفطية غنية الى الاستعانة بكفاءات أجنبية تتسبب فى مشاكل اجتماعية هامة بحكم عدم التلاؤم الثقافى والحضارى .

فالعمالة الاجنبية التى تغرق بلدان الخليج العربى مصدر لمشاكل اجتماعية انفجارية ، فى حين أن السوق العربية مليئة بالعمالة المؤهلة . ولعل أول مشروع اجتماعى قومى هو ترشيد الاستفادة من العمالة العربية ووضع خطة قومية للملاءمة بين الحاجيات والطاقات المتوفرة . وان أول ما يعنيه هذا المشروع هو الاتفاق بين الاقطار العربية على تشغيل الكفاءات العربية قبل أية كفاءات اخرى ، (الآسيوية مثلا) . للحد من هجرة العمالة العربية الى أوروبا . بالاضافة الى انشاء مراكز قومية للتدريب والتأهيل وتلقى التكوين الفنى الراقى . فالاعداد النظرى والمهنى الموحد يحول العمالة العربية الى مجال استثمار قومى قادرة على تعويض اكثر من ثلاثة ملايين من الايدى العاملة الآسيوية والاوربية فى منطقة الخليج العربى .

وليس خافيا على أحد أن العمل العربى المشترك فى الوطن العربى اشكالية حديثة وفاعلة فى ظل سياق رأسمالى يتسم بالحمائية المتشددة والهيمنة المستمرة ولكن تأثير هذا الفعل القومى مرتبط بوجود تشريعات اجتماعية تقدمية وقيادات مستعدة لادراك واستيعاب ضرورات وحتميات العمل المشترك فى المجال الاجتماعى .

ولعل شرطا أساسيا لا يجب أن يغيب عن الاذهان وهو ضرورة تحييد العمل الاجتماعي عن آنية الموقف السياسي للارتقاء بالاعداد الاجتماعي الى مستوى الثبوت والاستقرار من أجل خلق تقاليد واعية ومسؤولة .

ان استقرار العمل الاجتماعي العربي ضرورة هيكلية لا محيد عنها ، والا تحولت المشاريع الى حرث فى البحر لان استقرار العمل الاجتماعي العربي يعني ببساطة استقرار السياسة الاجتماعية فى شكلها الشمولي ، فى حين أن الارتباك مصدر دائم للفشل السريع لكل المشاريع المخطط لتنفيذها . ولعل الارتجال السياسي هو العائق الرئيسي أمام العمل العربي المشترك مع أنه لا تنكر أهميته لانه يهدف الى اعانة الاقطار العربية على وضع سياسات عمل اجتماعي مكتملة ومنظمة من حيث التشريعات والاجراءات والهياكل ، اضافة الى تحقيق مبدإ ديمقراطية تقديم الخدمات الاجتماعية خاصة فى المجتمعات التى تطغى عليها الصبغة الريفية وتعيش حالة من انفجار الطلبات على الخدمة الاجتماعية .

وتعنى أيضا قومية العمل الاجتماعي والتخطيط والمتابعة والمواجهة النقدية من أجل تقويم أخطاء وثغرات هذا العمل والوصول الى حل المشكلات المستعصية وحل هذه المشكلات يتم من خلال الاستفادة من الكفاءات العربية وقومية الاعداد المادي والمعرفي لها التخطيط المنهجي ، وهو ما يتطلب الحد الادنى من التنسيق فى العمل بين الاقطار العربية والمنظمات المتخصصة فى المجالات الاجتماعية .

كما اننا لا نغفل فى هذا المجال الحديث عن أهمية تغطية مجالات العمل الاجتماعي . بحثا ودراسة وتقييما من أجل وضع المقاربات العلمية وتكوين تقدير احصائي لكل المجالات لان التراكم المعرفي والبحثي أساسي فى تطوير ميادين العمل الاجتماعي .

فالوطن العربي محتاج الى ارساء دعائم شبكة قويمة للمعلومات والدراسات تستفيد من خبرتها كل الاقطار العربية فى ميادين العمل الاجتماعي لان الاحصائيات ليست مجرد أرقام ومعادلات حسابية بل هى الدعامة الفعلية لكل عمل مخطط وموجه . ولعله من الضرورة بمكان ان نشير الى ان المنظمات العربية المتخصصة مطالبة بتكوين شبكة من الخدمات الاجتماعية القومية التى تعم على كل الاقطار العربية فى حالة الكوارث والنكبات .

وهي مطالبة ايضا بخلق تجارب قومية نموذجية في ميدان العمل الاجتماعي العربي المشترك تستفيد منها كل الاقطار العربية لتطوير خدماتها الاجتماعية لانه على اختلاف التجارب فان المثال الميداني مدعاة للاحتذاء والتقليد .

وضروري أيضا أن تتوحد المصطلحات والنظم الاحصائية الأساسية في ميدان العمل الاجتماعي كركيزة لقومية العمل الاجتماعي .

وبناءا على كل ما تقدم فان المحدد لنجاح العمل الاجتماعي العربي المشترك هو التخطيط الواعي والتحمس القومي من قبل الكوادر المشرفة والمنفذة لنبرامج الاجتماعية في الوطن العربي ولسائل أن يتساءل عن أهمية العمل الاجتماعي العربي المشترك والمجالات التي يمكن ان يتحرك في اطارها .

ولقد تبين ان العمل العربي المشترك مجال تأثير على القرار السياسي وتجاوز لظرفية وآنية الاختيارات العربية الراهنة ، وتكمن الاهمية لهذا العمل في تعدد مجالات الاهتمام والتدخل المباشر والاشراف . فاذا كانت الممارسة السياسية تتسم طيلة ربع قرن بالفوضى والاعتباطية فان الممارسة الاجتماعية أحوج ما تكون الى التصور الاستراتيجي العقلاني لان المستفيد الاول هو الانسان العربي .

فالعمل الاجتماعي العربي المشترك يفيد تنمية للمجتمعات العربية من الداخل وتوفيرا لحظوظ نجاح السياسات الاجتماعية القطرية . ولقد ظلت أغلبية الاقطار العربية تتخبط في الارتجال والارتباك لعدم قدرتها على الملاءمة بين الحاجيات في ميدان الخدمة الاجتماعية وبين الامكانيات المتوفرة في هذا المجال . فاذا كانت البلدان الخليجية تعتمد أساسا في تنفيذ مشروعاتها الانمائية على العمالة الآسيوية فان ذلك لا يمكن اعتباره عاملا مشجعا لانجاح السياسات الاجتماعية لهذه الأقطار . فهذه العمالة الآسيوية تخلق **توترا هيكليا** (tension structurelle) في النسيج الاجتماعي والثقافي للاقطار الخليجية . ومن ثم يتوجب ترشيد عملية الاستعانة بالعمالة الآسيوية والبدء في عمل مرحلي وتدريجي لتعويضها بقوى عمالية عربية مؤهلة وقادرة على الاندماج في النسيج الاجتماعي . ولعل مسالة الاندماج مرتبطة بتجانس ثقافي وحضاري ، ولذلك فان اختلال هذا التجانس يؤشر لحدوث توترات متعددة الوجوه .

وليس هذا التصور للعمل الاجتماعي العربي المشترك تصورا **وظيفيا** (fonctionnaliste) لانه مرتبط بمنظور تقدمي **للسياسة الاجتماعية** . فالانعكاسات المباشرة وغير المباشرة **تكون سلبية أو ايجابية حسب تقدمية** الاختيارات الاساسية للعمل الاجتماعي . ويمكن القول بأن المجتمعات العربية مجال خصب للتدخل الاجتماعي .

فما هي مجالات التدخل الاجتماعي المباشر ؟

ـ اعانة أغلبية البلدان العربية على بلورة سياسات اجتماعية تتجه الى تنمية قوى الانتاج الداخلية وعلى صياغة تصور واضح **للتنمية الاجتماعية** .

ـ التدخل المباشر لارساء دعائم مؤسسات وهياكل **العمل الاجتماعي** وفق الحاجيات والامكانيات الداخلية للمجتمع المعني بالدراسة .

ـ **دراسة مظاهر** وآثار انتقال القوى العاملة بين البلدان **العربية من ناحية** والبلدان **الاوروبية** من ناحية **أخرى** ، والتعرف على التأثير **الداخلي لهذا** التنقل سواء على بلدان المنشأ **أو بلدان** الاستضافة .

ـ وضع التصور النظري والمادي لسوق العمل العربية **والتفكير في ضبط** أسس التعامل داخلها وافادة كل الاقطار العربية من خدماتها .

ـ وضع استراتيجية قومية لتحفيز وعقلنة مشاركة المرأة في التنمية الشاملة .

ـ اعداد خارطة اجتماعية قومية تمسح كل مجالات **تدخل العمل الاجتماعي** المشترك ، وضبط ميادين **التنمية الاجتماعية** .

ـ اعداد تصور عملي لتنمية المرأة والطفل العربيين **وضبط صيغ وخصوصيات** المؤسسات والهياكل المساعدة على ذلك .

ـ اعتبار التعليم من حيث الحاجيات **المؤسسية والهيكلية مجالا من المجالات** الحيوية للعمل الاجتماعي المشترك .

ـ ضبط صيغ وقف استنزاف الكفاءات العربية **وتوظيف الكفاءات غير** المهاجرة توظيفا قوميا والتفكير في استقطاب الادمغة العربية المهاجرة .

ـ تطوير هياكل ومؤسسات الاعداد المهني والنظري **للقوى البشرية** العاملة في المجال الاجتماعي وتطوير المحتويات الدراسية والاكاديمية .

ـ اعتبار تطوير الواقع المادى لقطاعات الصحة والشباب استثمارا مستقبليا يتوجب دعمه والارتفاع به الى مستوى أرقى ٠

ان العمل الاجتماعى العربى المشترك مجال لمارسة الارادة القومية وتوظيف الكفاءات البشرية والموارد المالية العربية فى انجاز حضارى يتجاوز آنية واعتباطية الموقف السياسى ويخلق تقاليد العمل الاستراتيجى الثابت والفاعل فى البنى الداخلية للمجتمعات العربية ٠٠٠

ان العمل الاجتماعى على المستوى القومى يمكن ان تكون له اهتمامات رئيسية مثل :

ـ ايجاد صيغ عملية لتوطين المجتمعات البدوية وادماجها فى البنية الاجتماعية الشاملة والتنمية الوطنية ٠

ـ تطوير المجتمعات الريفية وتدعيم بنيتها الانتاجية فى اطار تنموى تكاملى خاصة بالنسبة للاقطار العربية ذات الهيمنة الزراعية (تونس ـ المغرب ـ الجزائر العراق ـ السودان ـ مصر ٠٠٠)

ـ تنظيم سوق قومية للعمالة العربية وترشيد الاستفادة منها واخضاعها لعمل تشريعى وتنظيمى يعقلن وضعها الاجتماعى ويمنع التجاوزات التى قد تنجر عن معاملات الاعراف ٠

ـ تدعيم وتطوير الجهد القومى لرفع الامية الابجدية والحضارية لدى الانسان العربى ، خصوصا وأن نسبة الامية فى الوطن العربى تتجاوز 68 ٪ وهى تعتبر تقريبا من أرفع نسب الامية فى العالم ٠ وتصل هذه النسبة على المستوى القطرى الى 92% فى بعض الحالات ٠ وانه من الضرورة بمكان أن نشير الى تشتت وارتباك القطرية فى الوطن العربى ٠ ويمكن ان نسجل فى هذا المجال وجود نوع من التراجع انلم نقل تقلصا فى السياسات العربية فى ميدان محو الامية ٠ ولعل تخطيطا قوميا فى مجال محو الامية يمكن أن يكون فاعلا ومؤثرا فى البينة الثقافية للمجتمعات العربية .

ـ وضع أسس ودعائم تصور شامل للاستفادة من خريجى الجامعات العربية بدل استقطابهم من قبل المجتمعات الرأسمالية فى اطار التقسيم العالمى للعمل ٠

ـ اعانة الاقطار العربية على صياغة نماذج خصوصية فى مجال السياسة الاجتماعية وملاءمتها مع المعطيات الواقعية للمجتمعات العربية .

ـ العناية بالطفولة العربية وتنميتها نفسيا واجتماعيا وثقافيا والتفكير فى ايجاد صيغة مشتركة لاستفادة الاقطار العربية من تجارب بعضها البعض فى مجال الطفولة .

ـ ضبط قائمة المهن المندثرة (الصناعات التقليدية ـ الصناعات الحرفية...) والعمل على تدعيمها باعتبارها ركيزة للتوازن المجتمعي.

ـ توجيه الاستثمار القومى لرؤوس الاموال العربية نحو مجالات استثمار اجتماعية (صحة ، أنشطة شبابية وثقافية) .

ـ تخصيص صناديق دعم مادي وتدخل مباشر لمقاومة الآفات الاجتماعية والطبيعية مثل التصحر وزحف الرمال والتلوث التى تعانى منها اقطار عربية عدة (الصومال ـ بلدان الخليج العربى ـ بلدان المغرب العربى) .

ان مجالات العمل الاجتماعى متعددة ومكثفة ولكنها تحتاج الى تخطيط استراتيجى قومى يقوم بتعبئة الجهود والامكانات العربية .

المنصف ونـاس

البحث عن فصل آخر

شعر: رجب بن مهنى

من السنة الآن يخرج
فصل لقيط
ويرمي بنا في مصب رديءٍ
ويُتْعِبُنَا
ويُقسّمُ أظهرنا
هاجس لا ينامُ
يُباعدُ ما بيننا
يُفرّقنا شيعًا
إنّني الواحدُ المتوحّدُ
شُدّ معي الحبلَ
منْ لمْ يجئهُ رسُولُ التحدي
يمُتْ ...
هو الروض بالزهر والورد روض
فلونُ البنفسج خِلٌ
لعطر الورُود
ومَنْ يطرُقُ البابَ ؟
طيرٌ يجيءُ من القُطبِ
أمْ شاعِرٌ عاشقٌ ؟
ومَنْ يفتَح البابَ ؟

... موصدةٌ كالطلاسم
مُشرعةٌ كالمواخير أبوابُنَا
ورائحةُ الطيبِ في نحر مملكة البغي
تنزو دماء ..
وجوعا
أأُقحمُ أخيلتي في مجاري التردي ؟
أأنجو بنفسي ؟
أنا النذلُ إن كنتُ
من لفّ لفّي هُمُ الساقطونَ
بمُستنقع للرّذيله
وما أكثر الجبناء !
أيحصيهم العدّ ؟
أيُحصيهم الحصر ؟
فأل هو العدّ والحصر
والدّرْبُ أطولُ منْ عرَباتِ قطارْ
وفي وَحل الدرْب
غاصتْ هنا قدَمٌ
وهنا قدمٌ
متى تستَعيدُ رداءكَ منْ سارقيه ؟

وَوجهك من صابغيه
وأصلكْ ...
بل الآنَ أنتَ الوعود
وأنتَ الرّبيع
سَأسْألكَ الآنَ
عنْ لفظة لم تَقُلْها
وعن نجمة لم تَطُلها
وعن سنة أنت فيها ومنها
أتخْشَى امحاءَ أزاهير وجْهك
في عتَمَاتِ الأصيلْ ؟ ؟ !
مُحطمة كلّ أشْرعتي
سأُعيدُ البناء

سأخرُجُ منْ سَنَةِ الجَدْبِ
فصلا جَديدا
عنَاقيدَ ماس
أنا المُتَوَثبُ
والمُتَحَفزُ
عبرَ المآسِي
أنا الماردُ - الطفلُ
يكبرُ
يخرجُ منْ كبوةٍ ...
ويَسير

رجب بن مهني
جربة : 84/3/8

ننشر في الاعداد القادمة

الشباب....................	**محمد أنور بوسنينه**
في تربية الطفولة المبكرة	**عزوز عبد النبي**
الموسيقى في تونس وآفاق تطورها	**البشير بن سلامه**
الشباب والاخلاق	**مبارك العمراني**
الرحلة الصينية	**علي العريبي**
العلوم الصحيحة عبر الحضارات .	**د. محسن العيادي**

بديعة الجمال

قصة : يوسف عبد العاطي

حدثتني جدتي قالت : سأحكى لك اليوم قصة لا يرويها الا الكبار فيما بينهم .

قلت : ولماذا هى ..؟ ..؟ ..؟ ..؟

قالت بلا تردد : لانها قبيحة .

قلت : هل القبح فى عالمنا خاص بالكبار ؟

قالت : لقد اعتاد الناس ذلك والآن استمع إلي ودعنا من هذا :

كان فى قريتنا الحبيبة ، هذه التى نحن على أديمها امرأة فاتنة الجمال . جمعت بين سواد الشعر والعينين ... وسمرة مغرية فى بشرتها ... وقوام ممشوق ... متكامل الاطراف .

قلت : من أين أتاها الجمال وهى لا تملك شعرا أصفر أو عيونا زرقاء أو حتى بشرة بيضاء ؟..

قالت : كنا على فطرة البداوة يا ولدى . وما وصفته الآن من علامات الجمال دخيل على هذه الفطرة .

أفتتن بها كل أبناء البلدة . الفتيان منهم والكهول . وتمنى الجميع التزوج منها للتمتع بهذا الجمال الاصيل الذى لم يعايشوا مثله فى هذه القرية أو فى ما جاورها من القرى . انها فتنة كبيرة يا ولدى .

تقدم جل أبناء القرية كبيرهم وصغيرهم ... غنيهم وفقيرهم ؛ الى أبيها لطلب يدها وأغلبهم كان يفعل ذلك لغاية التمتع بهذا الجمال الفتان . وقوي مهرها حتى أصبحت كاللؤلؤة الثمينة التى يتزايد على ثمنها التجار فى السوق . الا أنها ورغم كل هذا كانت تجيب دائما : « لا أريد الزواج ... » .

احتار الناس فى سبب هذا الرفض وأول كل واحد الامر على هواه فمن قائل : انها تترقب أميرا من الامراء يتقدم لخطبتها . وآخر يقول : انها مغرمة بفلان و.. و.. و.. ومرض الأب واحتجبت الأم عن الناس .

قلت ولكننى لم أسمع الى حد الآن قبحا يا جدتى . قالت : لا تغتر بأول الكلام واسمع الحكاية الى آخرها ثم احكم .

قلت : مرض الأب واحتجبت الأم عن الناس عندها أوجست الفتاة خيفة من مصير أبويها وهى التى كانت تظن أن أبويها تفهما موقفها لكنهما كانت مخطئة فأتسمت على الزواج فى سرها من أول شاب سيتقدم لطلب يدها .

قلت : لكن لماذا كانت ترفض الزواج ؟

قالت : بقي ذاك السر دفين صدرها لكن ما أظن أن رفضها كان بسبب معرفة غاية المتقدمين اليها وهو التمتع بجسدها وقد كانت وهى الاصيلة الجمال والاخلاق ترفض تلك الغايات الدنيئة فى نظرها .

اقترن قرارها بالزواج بقرار ثان وهو هام أيضا . فقد تشجع أفقر فقراء القرية وتقدم لخطبتها بعد أن يئس من ذلك بقية الناس قلت : كيف جاءته الشجاعة وتقدم لخطبتها ؟

قالت جدتي : ما عرفناه بعد ذلك أنها كانت تعشقه منذ أن رأته أول مرة يحمل الحطب على حماره . وقد أحست أنه الذى لا يمكن أن يفكر فى استغلالها فأحبته حبا ورفضت من أجله المال والجاه وكل أبناء القرية وحين أكد هو من هذا الكلام بطريقته تشجع وتقدم لطلبتها فنجلح فى مسعاه .

أقيمت معالم زينة عادية جدا وأغلب الرجال يحسون بغيظ شديد لافلات هذا المغنم من أيديهم .

عاشت الفتاة ببيت زوجها فى سعادة كبيرة خصوصا بعد ان شفي والدها . وأصبحت تستعين مع زوجها على كل كبيرة وصغيرة فأصبحت تحمل الماء من البئر لتبيعه الى الاغنياء فترويهم ماء ويزدهم حرقة جمالها فيوفون لها العطاء وبذلك يكون انتصارها عليهم مثنى ...

بعد سنوات قليلة كانت قد بنت مع زوجها بيتا متواضعا عمر بطفلين أخذا من أمهما الجمال ومن أبيهما القناعة .

وها إني نسيت أمرا هاما . تحدثت عن عشيق الفتاة الذى تـزوجته ولم أتحدث عن الشاب الذى أفرط فى عشق الفتاة وكان من جملة المرفوضين ...

هذا الشاب هو أحد أبناء القرية الاصيلين . تعلم السحـر عن أجـداده فسحرته هذه الفتاة الفاتنة بجمالها . راودها عن نفسها مـرارا فافلتـت من قبضته . تقدم لخطبتها علّه بذلك يصل الى مبتغاه فرفضته ... أحتار كثيـرا قبل أن يقرر أى شيء لكنه بعد تفكير طويل قرر هجر القرية علّه ينساها أو تلين مع الايام فتقبله بعد عودته وكان أول من هجر القرية من أجل فتـاة . لم يكن مخيرا وهو الذى يملك قوة السحر بين يديه بل كان مسيرا بقلبه لذلك لم يستطع أن يحقق ما يتمناه . هجر القرية وقلبه يتحرق على ما ترك وراءه . عشيقة رافضة ... وأرض حبيبة ... وعائلة حنونة ... وأصدقاء أوفياء .

لما عاد الى قريته كان أول ما علمه هو زواج عشيقته الـرافضة وانجابهـا لطفلين بديعى الجمال فاستشاط غضبا . وعاد الى منزله يمضى فيه بقية النهار الذى حمل له أتعس أخبار حياته .

عند الغروب ذهب الى أصدقائه وقال لهم : من يريد أن يرى بديعة الحسن والجمال فى ظلام الليل فليأت معى ...

كانت تظهر على وجهه علامات الجدية ... لذلك اتبعه كل من سمعه وأيضا لانهم جميعا كانو يتمنون ذلك . وحين وصلوا المنزل جلسوا قـرب صفصافة فارعة الطول يراقبون المنزل ويتبادلون الذكريات ؛ الطريفة منها خاصة .

طال انتظار الجماعة حتى ظنوا أن صاحبهم قد عدل عن فكرته فغلب النوم أكثرهم ولم يبق مستيقظا منهم الا القليل . عند ذلك الحين وبالتحديـد فى النصف الاخير من الليل رأى كل من بقي مستيقظا بديعة الحسن والجمال تمر من أمامه وهى تترنم فى مشيتها كالراقصة . وتمعن كل المستيقظين فى كامل أجزاء الحقل المظلم بشاعرية كبيرة بينما كان زوجها فى تلك الاثناء يغط فى نوم عميق .

قلت يا ولدى : جابت المرأة المكان الذى كانوا فيه طولا وعرضا فرأوا جسد المرأة من كل جهة وبذلك ازدادت حرقتهم وتمنوا التمتع بهذا الجسد عمليـا وليس بالنظر فقط .

بعد أن أتمت المرأة دورتها عادت من حيث أتت وكأن شيئا لم يقع فى تلك اللحظة أيقظ الجماعة الذين رأوا جسد المرأة عاريا أصدقاءهم الذين كانوا يغطون فى نومهم وأعلموهم بما جرى . وما شاهدوا . فنشبت معركة لذلك انتهت باللكم والشتم والتوعد . ثم عاد كل واحد الى منزله ...

فى الغد وعند الغروب أيضا ذهب الساحر الى أصدقائه الذين رأوا جسد الحسن والجمال عاريا وقال لهم : هيوا معى وتأهبوا لمواقعة بديعة الحسن والجمال .. فكفى الفقير ما تمتع ... الليلة ليلتنا ... وحذار أن يبوح أحد منكم بالخبر الى غيرنا لاننا بذلك نفقد كل شىء . فأجابوه جميعا بصوت واحد : أذهب أنت أمامنا وسنأتيك الواحد تلو الآخر حتى لا يتفطنوا الينا وكن مطمئنا على ما أوصيتنا به وكان العمل كذلك .

جلس كل الجماعة كعادتهم تحت الصفصافة يتندرون بأطراف الحديث حتى وصل النصف الاخير من الليل .

فى تلك اللحظة خرجت بديعة الحسن والجمال عارية الجسد كما ولدتها أمها وترنمت فى مشيتها مثل الليلة التى سبقت . فأهاجت بذلك مشاعر كل الحاضرين وعوض أن تعود بعد ذلك من حيث أتت ذهبت الى الزيتونة واتكأت على جذعها فاتحة صدرها لنور القمر وعينيها لنسيم الرياح العليلة .

شعر كل الجماعة بنهم كبير الى العرق فتخاصموا فى من تكون له الاولوية وفصل الساحر المعركة بسرعة وأعطى لكل واحد رقمه فى المواقعة وهو يبتسم ...

تقدم الاول فأحس بحلاوة كبيرة وهو يترعرع تحت أغصان الزيتون الا أنه وقبل أن يصل أغصان الزيتونة أحس بصلابة لم يعهدها فى أغصان الزيتون وجذوعها . أيعقل أن تبقى بعد جنيها عامين بكرا ؟ إنه لا يملك جوابا محددا الا أنه أحس بالعرق يسيل قبل أن يدرك غايته عندها سمع صوتا رقيقا يقول له : وصيتى لكم أبنائى ... وصيتى لكم أطفالى ...

حمل أدباشه وعاد من حيث أتى وهو يفكر .. ما معنى ، وصيتى لكم اطفالى ؟

تقدم الثانى الى المرأة العارية فوقع له ما جرى للاول وعاد يفكر مثل سابقه ما معنى وصيتى لكم أطفالى ؟

وتقدم ثالث ، ورابع ... وسابع ... و ... الى آخر شاب !

ترك الساحر أصدقاءه يفكرون فى معنى .. وصيتى لكم أطفالى ... وهو يبتسم . ابتسامة ذات معنى زادت فى تفكير أصدقائه .

تقدم الساحر من شجرة الزيتون بخطى وئيدة وهو ينظر الى خلفه ويبتسم. ربما كانت سخرية . ولكن مماذا ؟..

قبل أن يصل الساحر شجرة الزيتون أنبثق من السماء نور خافت فضح زرقة السماء ، فأحس بقشعريرة تسمره فى مكانه .

تقدم الاصدقاء الذين كانوا رابضين من خلف ليصلوا الى الساحر ويتفرسوا فى الجسد العارى تحت نور الفجر الجميل الذى فضح زرقة السماء والتى كانت وقبل برهة تحت وطأة الظلام سوداء .

أحس كل الحاضرين باحتقار كبير الى شخصهم وهم ينظرون الى شجرة الزيتون التى كانت قبل لحظات محط رحال شهواتهم ونظروا الى الساحر بازدراء كبير دون أن يمسوه بسوء أو يسمعوه ما يشينه بل كل ما فعلوه هو احتقار أنفسهم أمام هذا المتلاعب بمشاعرهم .

قلت : لكن ما سبب ذلك يا جدتى ؟

قالت لى جدتى : إنهم لم يواقعوا المرأة البديعة الجمال ولا شاهدوا جسدها عاريا . فكل ما رأوه كانت أشباحا صورت لهم . لكنهم أحسوا بالازدراء أكثر حين فضح لهم نور الفجر ما كانوا يواقعون ...

لقد كانوا يواقعون جذع الزيتونة التى كانت امامهم ...

ونظرت إلي جدتى فوجدتنى أغطى رأسى بالمخدة .

يوسف عبد العاطي

أيّ سحر ؟!

شعر: محمد بن صابر

أي سحر نبثه مقلتاك !   وسلاف به انتشت شفتاك
أى سر سرت به نجواك ؟   بفؤاد يهيم فى مجلاك
أنت بدر اضاء فى الأحلاك   لك روحى فدى فما أحلاك !
يا لقلب نعيمه فى لقاك !   إنه تائه أسير هواك
نسي الراح فى زهي حماك   ومضى يحتسى رحيق لماك
يا لها من سعادة فى رضاك !   يا لها من شقاوة فى جفاك !
فتنة الله فى العباد بهاك   ما تجلت شجونها فى سواك
ترك الخلد آدم واقتفاك   وسيبقى يسير إثر خطاك
مستهاما سباه برق سناك !   وغدا عبدك الذى ما سلاك
وجنى الجنتين طيب جناك   ونوال به سخت راحتاك
لو تراها رايت خير ملاك   سابحا بالجناح فى الافلاك
فحياتى لها العيون بواك   قبل يوم سمحت لى ان أراك
إنما العيش فى ظلال نداك   قصر الوصف عن بلوغ مداك
نهل الورد من عبير شذاك   وحبته مدامها وجنتاك
ان زهر النجوم تاج علاك   والثريا تدوسها قدماك

من المسألة اليهودية إلى المسألة الاسرائيلية

بقلم: هشام القروي

قد يسأل سائل : ما الدافع الى العودة الآن الى معالجة جذور المسألة اليهودية ، وقد كتب فيها الكثير ، ولم نعد اليوم بحاجة الى الكلام بقدر ما نحن بحاجة الى الفعل ؟

طبعا ، ليست الغاية من هذا البحث هي المساهمة في «اغراق» القضايا الجوهرية التي نعيشها بالحبر ، حبا للحبر ! انما أردت من خلال عرضي لـ «مسألة اليهودية» وكيفية تحولها — ومعناه — الى «المسألة الاسرائيلية» ، اثارة بعض القضايا التي لا تزال مطروحة على كافة المثقفين العرب ، وهي — كما سيتضح من هذا البحث :

1) مشكلة « الذهنية الاسرائيلية » من ناحية بنيتها الايديولوجية والسيكولوجية .

2) لماذا نجح الاسرائيليون في تحقيق مشروعهم على حساب الفلسطينيين ؟

3) لماذا بقيت القضية الفلسطينية معلقة الى اليوم بانتظار حل شبيه بـ « قودو » الذي لا يأتي ؟

4) ما الدور الذي لعبه بعض العرب في قطع طريق الوصول الى هذا الحل منذ البداية ؟

5) نحن بحاجة الى التذكير الدائم بكل نواحي قضية الشرق الاوسط الجوهرية ، وملابساتها ، وظروفها الاولى ، وجذورها ، لان فهم اللحظة الماضية قد يكون كفيلا بجعلنا نفهم اللحظة الآتية في تسلسلها المنطقي ،

خاصة والفلسطينيون يعيشون اليوم ظروفا شبيهة الى حد غريب - ومؤسف - بظروف الامس ٠

انني لا ازعم الاحاطة بكل هذه الظروف والملابسات ، ولا ازعم حتى الاجابة المقنعة عن هذه التساؤلات المطروحة ، بل أترك الاستنتاجات للقارئ الذى لا اشك فى ذكائه ٠ ولقد كان جهدى مركزا اساسا على برهة واحدة من هذا المسار الطويل المتعرج الذى أفضى بنا الى هذا الافق الغائم والمضطرب الذى هو أفق الشرق الاوسط اليوم ٠٠٠ هذا المسار الذى أدى - منذ البداية - الى اغراق الفلسطينيين فى بحر التناقضات العربية التى لا تنتهى ٠

يمكن النظر الى ما يسمى بالمسألة اليهودية لا على انها نتاج آلاف السنين من الاضطهاد المتعمد والقهر المستمر من جانب الاغيار ضد اليهود ، وانما هى نتاج عملية اجتماعية مركبة ٠ فهى مشكلة أقليات وطبقات اثنية ودينية مرتبطة ببناء المجتمع التقليدى (ما قبل الرأسمالى) ، حين تبدأ هذه المجتمعات فى دخول العصر الحديث - تماما مثل مشكلة الآسيويين والعرب فى افريقيا بعد استقلال الدول الافريقية ومشكلة اليونانيين والايطاليين ومن يطلق عليهم اصطلاح «الشوام» فى مصر (وكلها اقليات تجارية هامشية) بعد ثورة 1952 وبعد عمليات التحديث والتمصير والتأميم ٠ وتبدأ المشكلة حينما يطرح المجتمع صيغة جديدة للتضامن الاجتماعى تتطلب من أعضاء الاقلية (والاغلبية أيضا) أن يعيدوا صياغة أنفسهم وولاءاتهم بما يتفق مع ديناميات المجتمع الجديد ٠ والصيغة الجديدة عادة ما تأخذ شكل حقوق وواجبات جديدة تختلف فى كثير من الوجوه عن الحقوق والواجبات التى يطرحها المجتمع التقليدى ٠

وقد بدأت المسألة اليهودية فى الظهور فى أوربا ابتداء من القرن الثانى عشر مع بداية ظهور رأسماليات محلية ٠ وقد كان التناقض يحسم اما بطرد اليهود الذين كانت تهاجر منهم أعداد كبيرة الى شرق أوربا حيث المجتمعات الاقل تقدما ، او باندماجهم واستيعابهم - فيما بعد - فى مجتمعاتهم ٠ اى ان اليهود كانوا يحلون المشكلة بالعودة الى الماضى عن طريق الهجرة الى شرق أوربا أو بالولوج الى المستقبل عن طريق الاندماج .

ورغم كل ادعاءات الصهيونية ، فقد منحت معظم دول أوربا اليهود حقوقهم المدنية والسياسية وحقق اليهود قدرا كبيرا من الانعتاق والتحرر

والاندماج داخل الدول التى يعيشون فيها • (I) ولم تكن استجابة اليهود لهذه الريح الطيبة التى هبت عليهم استجابة سلبية دائما • بل نجد انهم قد تأثروا بها ، فاصبحت لهم حركتهم العقلانية المستنيرة المعروفة بـ «الهسكلاه» و «الهسكلاه» كلمة عبرية تعنى التنوير • وقد أطلقت هذه الكلمة على الحركة

(I) نورد فيما يلى بعض التواريخ الهامة الخاصة باعطاء اليهود حقوقهم مع (ملاحظة) أن كل هذه القوانين والاعلانات الدستورية والتصرفات التى منحتهم حقوقهم قد صدرت فى أقل من خمسين ومائة عام • وهى فترة قصيرة للغاية حتى لو نظر اليها من وجهة نظر الفرد اليهودى لا من وجهة نظر التاريخ اليهودى أو الانسانى فحسب :

1787 : دستور الولايات المتحدة يعلن أنه «لن يطالب أى مواطن يبحث عن عمل أن يدخل امتحانا دينيا» •

1789 : اعلان حقوق الانسان والمواطن فى فرنسا ينص على أن : «الناس يولدون ويظلون أحرارا متساوين فى الحقوق» •

1791 : المجلس الوطنى الفرنسى يمنح اليهود الجنسية الفرنسية والحقوق المدنية الكاملة •

1795 : اليهود فى الاراضى المنخفضة يحصلون على حقوق متساوية (تم انتخاب أول رئيس يهودى للبرلمان عام 1798) •

1797 : الغاء الغيتو فى ايطاليا •

1812 : فريديريك وليم الثانى ملك بروسيا يعلن أن اليهود مواطنون بروسيون •

1839 : اعلان المساواة فى الحقوق فى كندا •

1848 : المجلس الوطنى فى فرنكفورت يعلن أن « ولاء الانسان الدينى لن يقرر أو يحدد حقوقه الوطنية أو السياسية» • (وقد ظل هذا المبدأ هو النموذج الذى يحتذى فى كل الدساتير التى أصدرتها الدويلات الالمانية الى أن صدر دستور ألمانيا الموحدة) •

1867 : اجراء تعديلات دستورية فى النمسا والمجر لاعطاء اليهود حقوقهم.

1870 : سقوط روما فى أيدى القوات الاتحادية التى قررت على الفور منح الحقوق السياسية لكل اليهود فى ايطاليا •

1871 : الدستور الأمبراطورى الالمانى يلغى كل القواعد والقوانين المبنية على أسس دينية •

1874 : الدستور السويسرى يمنح الحرية الدينية للجميع •

التى ظهرت بين يهود أوربا فى منتصف القرن الثامن عشر (حوالى عام 1750) ، واستمرت قوية حتى عام 1880 تقريبا ، والتى كانت تنادى بأن على اليهود ان يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وأن يكون ولاؤهم الاول والاخير للبلاد التى ينتمون اليها وليس لـ «قوميتهم الدينية» التى لا تستند الى سند عقلى أو موضوعى ٠ وكان دعاة حركة التنوير اليهودية يرون ان هذا ممكن اذا ما تمكن اليهود من اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية ، واذا ما قاموا بفصل الدين اليهودى عما يسمى بـ «القومية اليهودية» حتى يتلاءموا مع الدولة العلمانية القومية فى أوربا . وقد بدأت حركة التنوير اليهودية فى ألمانيا ، حيث نشأت طبقة رأسمالية تجارية بين اليهود أثناء حكم فريديريك الثانى (1740 ـ 1786) ، ومنها انتشرت الى جاليشا والنمسا وروسيا وبولندا ومع هذا ، فقد ظلت حركة التنوير اليهودية أساسا حركة ثقافية ألمانية ، اذ كانت الحضارة الغربية بالنسبة لدعاة التنوير بين اليهود تعنى الحضارة الالمانية بالدرجة الاولى ، (وان كان هذا لا ينفى وجود أثر فرنسى على حركة «الهسكلاه» خاصة بين يهود فرنسا) ٠ وقد درس دعاة التنوير اليهود اعمال المفكرين الرومنكيين والبرجوازين الاوربيين مثل ديدرو وروسو ولوك وهردر وجوته وشيلنج وأعمال بعض الوضعيين الروس ٠ وكان دعاة التنوير بين اليهود يتصورون أنهم اختطوا طريقا وسطا بين الانصهار الكامل والانفصال

1887 : معاهدة برلين تلغى كل القوانين التى تحد من حرية اليهود فى رومانيا وبلغاريا ٠

1917 : سقوط القيصرية فى روسيا والغاء «كل الامتيازات والقيود الدينية والقومية» ٠

1936 : دستور الاتحاد السوفياتى يعلن أن «المناداة بالعزلة أو الكراهية العنصرية أو القومية جريمة يعاقب عليها القانون» ٠

وقامت فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية محاولات مماثلة لدمج اليهود وتحديثهم والقضاء على هامشيتهم الحضارية والانتاجية وتحويلهم الى قطاع اقتصادى منتج مندمج فى المجتمع (وهى القضية التى كان يطلق عليها «انتاجية اليهود») ٠ راجع من أجل مزيد من التفاصيل الكتاب القيم للدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى : الايديولوجية الصهيونية ٠ دراسة حالة فى علم اجتماع المعرفة ٠ الكويت ٠ 1982 ٠

الكامل • وكانت قضية التعليم هى القضية الاساسية بالنسبة اليهم بسبب اغراق الجماعات اليهودية فى الرجعية والتخلف •

وقد وصل هذا التيار المستنير الى حد اعلان «أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله بل هو وثيقة من صنع الانسان» • وهو ما قرره مؤتمر بتسبرج الاصلاحى (1885) الذى أقر أيضا فى مبدئه الخامس : «نحن نرى فى العصر الحديث عصر حضارة العقل والقلب الجامعة اقترابا لتحقيق أمل يسرائيل» الماشيحانى «العظيم لاجل اقامة مملكة الحقيقة والعدالة والسلام بين جميع البشر • نحن لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم بل جماعة دينية • ولذا ، فنحن لا نتوقع عودة الى فلسطين أو عبادة قربانية فى ظل أبناء هارون ولا استرجاعا لاى من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية» •

لكن هذا التيار ـ المستنير سرعان ما انحسر ، وفشلت محاولات الدمج ، وظهر التيار الصهيونى تحت تأثير الكاتب السياسى والداعية الصهيونيى بيرتس سمولنسكين (1842 ـ 1885) بخاصة • وكانت حركة الاندماج فى ألمانيا والنمسا آخذة فى التعثر ، كما كانت تقابل صعوبات فى انجلترا وفرنسا وبقية أنحاء أوربا . ولكن الوضع داخل روسيا هو الذى أدى بالدرجة الاولى الى تفجير «المسألة اليهودية» على صعيد العالم الغربى بأسره على مستوى من الحدة والشمول لم يسبق لهما مثيل •

ففى 22 أوت (آب) 1881 ، أصدر القيصر أوامره بالتحرى عن النشاطات الاقتصادية «الضارة» التى يمارسها اليهود توطئة لتصفيتها • وفى أكتوبر 1881 أصدر القيصر أوامره للجنة المكلفة باعادة النظر فى المسألة اليهودية والتى كانت تعرف باسم «لجنة ايجنانيف» • وفى ربيع 1882 قدمت هذه اللجنة تقريرها عن المسألة اليهودية ، وجاء فيه «ان سياسة الكسندر الثانى التسامحية» قد فشلت وأن قيام المعارضة الشعبية ضد اليهود فى روسيا نفسه قد برهن على وجوب اتخاذ اجراءات جديدة ضد اليهود فى روسيا. وفى نهاية التقرير قدمت اللجنة عدة توصيات نفذها القيصر فى صورة «اجراءات مؤقتة» تسمى قوانين ماى لانها أصبحت نافذة المفعول فى يوم 3 ماى 1882 . وقد قضت هذه القوانين على فرص اندماج بعض قطاعات اليهود فى المجتمع الروسى . فزادت هجرتهم الى الولايات المتحدة ، وخلقت مناخا اقتصاديا ـ فكريا قضى على الحركات الاندماجية وشجع الافكار الصهيونية ، خصوصا وأن قوانين ماى صاحبها وقوع بعض الحوادث الدامية ضد الاقليات الدينية والقومية فى روسيا • وهكذا ، طرحت المسألة اليهودية نفسها على روسيا وبولندا وعلى العالم الغربى باسره ، وبدأ الشرق فى

تصدير «فائضه» البشرى من اليهود ومشكلته اليهودية الى انجلترا وفرنسا وألمانيا والعالم الجديد بل الى كل بقاع الارض ٠

هكذا ساهمت حركة التنوير اليهودية بشكل غير مباشر فى ظهور الصهيونية ، اذ خلقت : (حركة التنوير) طبقة متوسطة يهودية متشربة بالثقافة اليهودية وتدين بالولاء لتراثها الدينى الغيبى ، ولكنها فى الوقت نفسه مشبعة بالافكار السياسية والاجتماعية الغربية من قومية الى اشتراكية وهذا الازدواج الفكرى والتعايش بين نقيضين هو الذى أفرز القيادات الصهيونية القادرة على التحرك فى اطار معتقداتها الصهيونية الغيبية ، والتى تجيد فى الوقت ذاته استخدام المصطلحات والوسائل العلمانية (2) ٠

وجد العداء لليهود على أساس دينى منذ بدأت الكنيسة المسيحية تناضل فى سبيل الاستقلال عن الاصل اليهودى ٠ وكان الاوائل الذين اعتنقوا رسالة المسيح اما يهودا بالوراثة أو ممن اعتنق اليهودية ، كاليونان ، الذين كثيرا ما يرد ذكرهم فى الانجيل ٠ بيد أن أكثر الرسل ثقافة وتأثيرا ، الرجل الذى قدم الدين الجديد الى عالم البحر المتوسط بصورة يمكن فهمها لم يكن يهوديا بالوراثة فحسب ، بل فريسى النشأة أيضا ٠ وقد كان تحوله الى المسيحية من أكثر حوادث التحول اثارة فى التاريخ ، اذ تغير من «شاوول» الذى يضطهد الكنيسة الى «بولس» أكبر المبشرين بها ٠ غضب بولس على اليهود لانهم لم يقبلوا ابن الانسان ابنا للرب ، ووصفهم بأنهم «الشعب الذى قتل السيد المسيح والانبياء أيضا والآن يضطهدوننا ويتصرفون بطريقة لا يمكن أن ترضى الله وتجعلهم أعداء للجنس البشرى بأسره» ٠ وقد اتخذ هذا القول وأمثاله من الاقوال القديمة فى القرن الاول الميلادى مبررا للاضطهاد كما اتخذت عبارة المسيح اللطيفة فى حمل الضيوف على حضور عرس مبررا لاجبارهم على تغيير دينهم ٠ وفى سنة 1581 قال البابا غريغورى الثالث عشر ما يلى : «ان خطيئة الشعب الذى رفض المسيح وصلبه تزداد جيلا بعد جيل ، وتحكم على كل واحد من افراده بالعبودية الدائمة» ٠ كانت «العبودية» كلمة مهذبة أدت أولا الى الغيتو ، فالطرد ، فالمذابح ٠ أما كلمة «غيتو» فمعناها الاصلى «البلدة الصغيرة» ، ولكنها اكتسبت فيما بعد معنى آخر ، حين أصبحت تؤوى الشعب الذى تبناه الشيطان (3) ٠

---

(2) عبد الوهاب المسيرى . نفس المصدر السابق .

(3) ديزموند ستيورت ٠ تاريخ الشرق الاوسط الحديث ٠ دار النهار ٠ بيروت ٠ 1974 ٠

ظل اليهود على الدوام يرجعون اسباب شقائهم الى الآخرين • ولكنهم لم ينظروا مرة واحدة فى داخلهم بحثا عن سبب • لو تم اضطهاد مجموعة معينة من قبل سلطة واحدة ، أو حتى من كل السلطات فى عهد معين ، لجاز ان يكون الخطأ فى القائمين بالاضطهاد . أما أن يتجدد الاضطهاد ويتكرر عبر العصور ومن اجناس لا رابط بينها من ثقافة أو دين أو نظرة كونية ، ولا جامع يجمع بين أفعالها غير شخصية الخاضع للاضطهاد ، فان شيئا ما فى هذه الشخصية يستوجب النظر •

هذا العامل المشترك الذى يربط بين حوادث الاضطهاد لليهود فى مختلف العصور والمواقع الجغرافية ، نجده داخل المجتمع اليهودى . انه ذلك الخلط العنيد بين القومية والدين ، بين الدور السياسى لجماعة والاصل العرقى لافرادها . انها الجماعة التى تصر أبدا على أن تكون حزبا سياسيا ورابطة اقتصادية وأخوة دينية مغلقة أمام جميع من لا ينتمون الى أصل معين ، وفى الوقت نفسه ، تتوقع من هؤلاء الغير أن يكونوا متعاطفين مع أهدافها •

وعلى الرغم من أن اليهودية ديانة مفتوحة نظريا ، فان هذا الادعاء يواجه صعوبات حتى فى الناحية النظرية ، اذ ان قيام هذه الديانة على مفاهيم عرقية واصطباغها بصبغة قومية قوية ، وتأكيد أحبارها ومعتنقيها باستمرار أنها «هبة الله الخاصة لشعبه المختار» ، لا تشجع كثيرا ممن لا ينتمون لهذا الشعب كي يعتنقوها • هذا ، بالاضافة الى أن الجهد التبشيرى بين أفراد هذه الديانة يكاد يكون معدوما ••• بل ان التاريخ يشير الى ان كهنة هذه الديانة كانوا يعتبرون بعض تعاليمها أسرارا لا ينبغى أن يطلع عليها الغرباء •

ومن الناحية العملية نجد أن حوادث اعتناق اليهودية من جانب غير اليهود تكاد تكون معدومة خلال الالفى سنة الاخيرة ، وان هذه الديانة قد ظلت عمليا مغلقة تماما على الجماعة العرقية التى تسمت بها • أضف الى ذلك أن الموقف الذى وقفه اليهود عند غزو فلسطين من سكانها الاصليين واصرارهم المتعمد على «تنظيف» البلاد منهم ، يبين بوضوح المرحلة الاخيرة فى تطور هذه الديانة • فهذا الفعل يوضح أن المقصود باقامة وطن يهودى فى فلسطين لا يعنى اقامة وطن للديانة اليهودية يكون مفتوحا لكل من يرغب

فيها ، وانما وطن للعبرانيين فقط • فالجماعة هنا تتصرف أخيرا وبدون اية موارية كرابطة عرقية أو حتى كعصابة . ولكن الامر الذى كان اكثر خطورة على العبرانيين عبر كل الازمان لم يكن اغلاق الديانة اليهودية على العبرانيين ، وانما اغلاق العبرانيين على الديانة اليهودية •

ان فرض الديانة اليهودية على الشعب العبرانى حرم هذا الشعب من التكيف مع الظروف المتجددة باستمرار والتى عاشها . وهذا الغرض الذى استعان بالارهاب والتهديد بالفصل الاجتماعى وسط جماعة هى أصلا بلا أصدقاء وبتغذية عقول النشء بأفكار غريبة وغامضة عن أصلهم الالهى و «اختيار الله» لهم واختلافهم عن بقية عباد الله ـ هذا الغرض كان هو الاساس فى حوادث الاضطهاد التى وقعت لليهود بتركيزه على الخلاف بينهم وبين مخالطيهم وتغذيته لعقيدة التفوق لدى اليهود •

من هنا يتضح أن مأساة العبرانيين الازلية تكمن فى هذا السجن الثنائى : العنصر ـ الدين • وبتعدد الحواجز التى تفصلهم عن الآخرين كان المرء منهم ينظر على جانبى كل حاجز فيرى الناس انفسهم • ابدا لم تكن الحواجز وتعددها فرصة لتكثير الاصدقاء بالنسبة لهم • ولكنها كانت دائما مزيدا من العزلة وكان دائما من الصعب الفصل بين النازية على الطريقة العبرانية (الشعب المختار ـ الامة منجبة العباقرة) وبين الديانة السماوية المنزلة • ومن مثل هذا الموقف انطلق «عباقرة» صهيون ينادون بوجوب اضافة حاجز آخر يكرس هذه العزلة ويحقق الفصل الابدى بين العبرانيين ـ اليهود وبقية العالم : الدولة (4) •

لو طالعنا العهد القديم لوجدنا أن ثمة تصورا لله لا على أنه اله العالمين (الحقيقة المطلقة التى تعلو على المادة وعلى كل ما هو نسبى ومتغير) وانما باعتباره اله اسرائيل على وجه الخصوص • ان المقدس هنا يكتسب طابعا قوميا والمطلق يكتسب بعدا نسبيا • ولكن اذا اكتسب المقدس والمطلق طابعا قوميا ونسبيا فلا بد أن تكتسب الظواهر القومية طابعا مقدسا والظواهر النسبية طابعا مطلقا • وهذا هو ما حدث فعلا فالتصور الصهيونى لا يخلع القداسة على «الامة اليهودية» وعلى الظواهر القومية اليهودية فحسب

---

(4) عبد الوهاب أحمد الافندى • من نينوى الى تل أبيب • مقالة (3) : الشعب • مجلة المستقبل • باريس • 16 كانون الثانى 1982 •

وانما يساوى احيانا بين المقدس والقومى بين المطلق والنسبى فيصبحان شيئا واحدا • وقد احتفظ المفكرون الصهيونيون العلمانيون بهذه الحلولية وبهذا التداخل بين المطلق والنسبى بعد أن صاغوها صياغة معتدلة • وقد يختلف محتوى الاسطورة الصهيونية العلمانية عن الاسطورة الصهيونية الدينية • غير أن بنية الاسطورتين متماثل • وكما كان اليهود القدامى يرون ان تاريخ الشعب اليهودى محط اهتمام الرب ، وأنه مركز الحركة التاريخية خلع الصهاينة المركزية والاطلاق نفسيهما على تاريخ الشعب اليهودى بالمعنى العرقى • فالتاريخ الانسانى كله يدور حول الامة اليهودية التى تقف فى وسطه لتجسد فكرة وجود الله التى تمثل حسب قول الكاتب الصهيونى مارتن بوبر «حجر الزاوية فى حركة التاريخ ••• نحو الخلاص» • (5)

يعتبر يوجين دورنج المحاضر فى الفلسفة والاقتصاد فى جامعة برلين نموذجا لجيل استعاض بحقائق أوربا الظافرة عن حقائق الدين . ولم يكن ألوحيد الذى طرح السؤال التالى المتعلق بذلك : ما الذى جعل أوربا قوية ، وما هى الاخطار التى تهدد هذه القوة ؟

كان جواب دورنج عن ذلك السؤال فى «القضية اليهودية قضية عرق وأخلاق وحضارة» على أسس لا يفهمها مسيحيو العصور الوسطى • واذ ردد أقوال وليام مار ، وسبق هيوستن ستيوارت تشيمبرلين ، قابل بين عرقين يتنافسان فى السيطرة : الالمانى النقى واليهودى الفاسد • ان اليهودى مهما كانت عقائده لا سبيل الى اصلاح فساده .

واضح أن هذه اللاسامية العنصرية أخطر من التعصب الدينى • ذلك ان المتعصب دينيا يهاجم دين اليهودى ، وهو شىء يستطيع اليهودى تغييره ، أما العنصرى فيهاجم أصله وهو شىء لا يمكن تغييره •

قرأ هيرتزل كتاب دورنج ممتعضا • ومع ذلك اعترف بأن اقراض المال لا بد من أن يشوه خلق الانسان • ولكنه حاول أن يثبت أن هذه المهنة الكريهة فرضها على اليهود المجتمع المسيحى الذى كان يمنع أعضاءه من اقراض المال بفائدة ولا يسمح لليهود الا بالقليل من الاعمال الاخرى • (6) وحينما نشر

---

(5) عبد الوهاب المسيرى • نفس المصدر •

(6) دزموند ستيورت • نفس المصدر •

كتابه « الدولة اليهودية » اتهمه بعض اليهود بأنه تقاضى مبلغا ضخما من شركة أراض بريطانية تود القيام بأعمال تجارية فى فلسطين • وعلق هو على هذا الاتهام بقوله : «ان اليهود لا يصدقون أن أى شخص يمكن أن يتصرف مدفوعا باقتناع اخلاقى» •

هل هذا «الاقتناع الاخلاقى» هو ما جعل هيرتزل يتصور أن العالم حانوت أو سوق كبيرة وأن كل شىء فيه قابل للبيع والشراء ؟ ولا شك أنه تخيل الامبراطورية الانجليزية مثل دكان كبير للعاديات التى لا يعرف مالكها عدد السلع فيها على وجه الدقة ، وأنه لدى ذهابه لمقابلة تشيمبرلين لم يكن سوى زبون يطلب من صاحب الدكان سلعة اسمها «مكان تجمع الشعب اليهودى»•

ان كتاب «دولة اليهود» هو عبارة عن حديث موجه الى مجلس عائلة روتشيلد • قال ان الفكرة التى يحاول اظهارها فى الكتاب قديمة ، وهى «استرجاع» الدولة اليهودية • وكى يقنع آل روتشيلد أراد أن يبرهن لهم أن ثروتهم الضخمة لن تكون فى مأمن دون دولة يهودية ذات سيادة • وليثبت أن الدولة اليهودية ليست حلما استعمل القياس العلمى التالى : «الكل يعلم أن البخار يولد بغلى الماء فى غلاية وأنه يحرك غطاءها فقط • والمشاريع الصهيونية والجمعيات الاخرى لكبح اللاسامية ظواهر من نوع غلاية الشاى • لكن اذا احسن استغلال هذه القوة ، كانت كافية لادارة محرك كبير ونقل الركاب والبضائع مهما كان نوع هذا المحرك »•

يرى الكثير من الصهاينة أن معاداة السامية هى المسؤولة عن بقاء اليهود واستمرارهم • فيقول هيرتزل فى مذكراته انه كان متفقا مع نوردو على أن معاداة السامية هى وحدها التى جعلت منهم يهودا . كما أنه وجد أن ادراكه وتعرفه على الديانة اليهودية يعود الى الايام التى قرأ فيها كتاب يوجين درونج عن المسألة اليهودية . ويبدو ان هيرتزل كان يرى ان ثمة علاقة عميقة وعضوية بين هويته اليهودية ومعاداة السامية حتى انه كان يرى ان الاولى تنمو بنمو الثانية • لقد ميز هيرتزل معاداة السامية عن التعصب الدينى ، ووصفها بانها «حركة بين الشعوب المتحضرة تحاول من خلالها التخلص من شبح يطاردها من ماضيها» • وسلم هيرتزل أيضا بأن اقامة الدولة اليهودية يعنى انتصار للمعادين للسامية ، اذ سيتضح أنهم فى واقع الامر محقون • أن المعادين للسامية بطردهم اليهود كانوا ببساطة يحررون أنفسهم ويخلصونها من السيطرة اليهودية اذ « لم يكن بمقدورهم أن يخضعوا لنا فى الجيش والحكومة وجميع مجالات التجارة » .

وأدى قبول الصهاينة لجوانب معينة من معاداة السامية الى أن يعدوا المعادين للسامية حلفاء طبيعيين وقوة ايجابية فى نضالهم القومى من أجل تحرير يهود الشتات من عبوديتهم المزعومة . وبدلا من أن يحارب هيرتزل معاداة السامية ، قال : « ان المعادين للسامية سيكونون أكثر الاصدقاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم ، وستكون الدول المعادية للسامية حليفة لنا . » وقد ادرك كثير من الزعماء الصهاينة المصلحة المشتركة بين الصهاينة واللاساميين ففى سنة 1925 ، قال كلاتزكين انه «بدلا من اقامة جمعيات لمناهضة المعادين للسامية الذين يريدون الانتقاص من حقوقنا يجدر بنا أن نقيم جمعيات لمناهضة أصدقائنا الراغبين فى الدفاع عن حقوقنا» . (7)

ان هذا المنطق هو الذى جعل الزعماء الصهاينة لا يتورعون حتى فى التعامل مع ألد أعداء اليهود ... أى النازيين . فعندما أدى هجوم الجيش الالمانى على الاتحاد السوفياتى الى وضع القسم الاعظم من يهود أوربا الشرقية فى حلقة حديدية من السيطرة النازية ، اختلفت ردود فعل الصهاينة الافراد المأسورين فى هذا الشرك . فقد أدرك البعض أن ألمانيا النازية كانت مصممة على جعل أوربا « خالية من اليهود » . ولذلك اعتقدوا أن ثمة خطر ابادة على أى يهودى لم يهرب أو لم يخرجه الصهاينة من أوربا بموجب اتفاقيات 1938 . البعض منهم وبينهم انيليفتش انضم الى اليهود غير الصهاينة ليقاوموا . والبعض الآخر ، وخصوصا أمثال غانكفايش وجنز ، ممن كانوا زعماء فى الحركة الصهيونية ، استمر يأمل فى انقاذ نفسه وأتباعه المختارين عن طريق صفقات مع النازيين على حساب أبناء ملتهم اليهود .

لقد شاركت الحركة الصهيونية بنشاط عسكرى محدود فى الحرب العالمية الثانية ، الا أن هذا النشاط كان يرمى فى الاساس الى تعزيز هدف اقامة دولة صهيونية وليس الى مكافحة النازية أو مساعدة اليهود المضطهدين على مقاومتها . وهكذا ألف الصهاينة « لواء يهوديا » فى الجيش البريطانى كانت غايته الحقيقية تعزيز مصداقية الوهم بأن اليهود يؤلفون كيانا وطنيا وكسب التدريب والخبرة العسكرية للجيش الاسرائيلى فى المستقبل .

لقد ظلت الاتفاقيات بين الحركة الصهيونية وألمانيا النازية سرا محفوظا جدا لسنوات عديدة . ولكن ما ان حدثت الفضيحة المسماة قضية كاستنر

(7) عبد الوهاب المسيرى . نفس المصدر .

فى 1953 حتى بدأت التفاصيل تخرج الى النور تـدريجيا • وأول اتفـاقية كشف عنها النقاب كليا كانت الاتفاقية التى تم التوصل اليها بين الدكتور رودولف كاستنر من لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية فى بـودابسـت والكولونيل أدولف ايخمان (الذى كان قد وقع اتفاقية هجرة العام 1938 مع موشى بار ـ جلعاد) وهو الموظف المسؤول عن تسوية «المسألـة اليهودية» فى المجر عام 1944 •

لم تبدأ الحقيقة حول نشاطات «لجنة الانقاذ» المزعومة هـذه تخـرج الى النور الا عندما ندد كاتب اسرائيلى يدعى مالكييل غرينفالد بكاستنر كمتعاون مع النازية ، قائلا ان «أعمال كاستنر فى بودابست كلفتنـا أرواح مئـات الالوف من اليهود» • وقوضى غرينفالد بتهمة التشهير ، لا من قبل كاستنر، بل من قبل الحكومة الاسرائيلية التى كان زعماؤها رؤسـاء كاستنر ، وقـد رسموا السياسة التى نفذها •

لم تجر المحاكمة بصورة مرضية للحكومة الاسرائيلية ، فقد برىء غرينفالد من تهمة التشهير مما أشار الى أن هناك أساسا متينا لاتهامه بأن لجنة انقاذ كاستنر قد تعاونت مع النازيين وساعدتهم على قتل القسم الاكبر من يهود المجر مقابل السماح لها بانقاذ أكثر من 600 صهيونى بارز وأخـذهـم الى فلسطين . وقال القاضى بنيامين هاليفى فى قضية كاستنر : « مـا كان يهود الغيتوات ليثقوا بالحكام النازيين أو المجرمين ، ولكنهم وضعـوا ثقتهـم فى زعمائهم اليهود • وقد استعمل ايخمان وغيره هذه الحقيقة المعروفة كجـزء من خطتهم المحسوبة لتضليل اليهود . واستطاعوا نقل اليهود الى ابـادتهم بمساعدة الزعماء اليهود • أما اليهود الذين حاولوا انذاراصدقائهم بالحقيقة فقد اضطهدهم الزعماء اليهود المشرفون على «عمل الانقاذ» المحلى • ان ثقـة اليهود فى المعلومات المضللة وعدم معرفتهم أن زوجـاتهم وأولادهـم وهـم أنفسهم سيرسلون اخيرا الى حجرات الغاز فى أوشفيتز جعلا الضحايا يبقون هادئين فى غيتواتهم • وكانت رعاية النازيين لكاستنر وموافقتهم على السماح له بانقاذ 600 يهودى بارز جزءا من الخطة لابادة اليهود • ان فرصة انقـاذ أناس بارزين راقت له الى حد كبير • واعتبر انقاذ أهم اليهـود نجـاحـا شخصيا عظيما ونجاحا للصهيونية» •

لقد وصفت الصهيونية الهجرة الى فلسطين على أنها الجـواب الوحيـد للاسامية ، وانتقدت ورفضت أى صراع للتحرر وتشريع الحقوق المدنية • ووجدت نفسها فى معسكر واحد مع اللاساميين الذين قالوا للجاليات اليهودية

المحلية (اذهبوا الى فلسطين) • كما أن المبادرة فى الصراع اليهودى ضد النازية خلال الثلاثينات لم تأت أبدا من المنظمة الصهيونية • وكان الافراد والمنظمات اليهودية غير الصهيونية هم الذين اخذوا المبادرة وتحملوا عبء ذلك الصراع • وكانت المنظمة الصهيونية تتخذ موقفا أبعد عن بقيه اليهود كلما ازداد الصراع شراسة • والاعتبارات الكامنة تحت هذا الموقف توضحها رسالة كتبها بن غوريون الى الهيئة التنفيذية الصهيونية فى السابع من كانون الاول (ديسمبر) 1938 :

«ان المشكلة اليهودية الآن لم تعد ما كانته ، وان مصير اليهود فى ألمانيا ليس نهاية بل بداية ، وستتعلم دول لا سامية أخرى من هتلر ، ان ملايين اليهود يواجهون الابادة ، وقد اكتسبت مشكلة اللاجئين أبعادا والحاحا عالميين ، وتحاول بريطانيا فصل قضية اللاجئين عن قضية فلسطين ، ويساعدها فى ذلك يهود غير صهيونيين • ان مقاييس مشكلة اللاجئين تتطلب حلا اقليميا فوريا • واذا لم تستوعبهم فلسطين فان بلدا آخر سيستوعبهم • ان الصهيونية فى خطر ، فجميع الحلول الاقليمية الاخرى التى ستخفق حتما تتطلب مبالغ طائلة من المال • واذا كان اليهود سيختارون بين اللاجئين انقاذ اليهود من معسكرات الاعتقال ومساعدة متحف وطنى فى فلسطين ، فان كفة الرحمة سترجح وستوضع كل طاقة الشعب فى أقنية انقاذ اليهود من البلدان المختلفة • وستحذف الصهيونية من جدول الاعمال لا عند الرأى العام العالمى فى بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وحسب ، بل عند الرأى العام اليهودى فى أمكنة أخرى أيضا • واذا سمحنا بالفصل بين مشكلة اللاجئين والمشكلة الفلسطينية ، فاننا نجازف بوجود الصهيونية•

ان انقاذ الارواح اليهودية من هتلر يعتبر هنا خطرا كامنا للصهيونية ، اذا جىء بهم الى فلسطين • عندما اضطرت الصهيونية الى الاختيار بين الشعب اليهودى والدولة اليهودية فانها فضلت الاخيرة بلا تردد •

ان الصهيونية تقبل باللاسامية على أنها الموقف الطبيعى العادى للعالم غير اليهودى من اليهودى • وهى لا تعتبرها ظاهرة مشوهة ومنحرفة فهى استجابة للاسامية ولكنها ليست مواجهة وتنديدا أو قتالا ضدها» •

ان الصهاينة يقبلون بصورة جوهرية الايديلوجية العرقية للاساميين ، ولكنهم يتوصلون الى نتائج مختلفة • فاليهودى بدلا من التيوتونى هو العرق النقى او المتفوق • هذا المفهوم للعرق المتفوق يظهر فى التشديد الذى تضعه

الصهيونية على «انقاذ» الرواد الشبان للهجرة الى فلسطين ، واهمال المسنين الذين لا يستطيعون القيام بمثل هذه المساهمة لبناء الدولة الصهيونية . ويفهم ضمنا من هذا القبول بالمبدأ النازى للفئات المتفوقة والدنيا للكائنات البشرية .

أظهر الصهاينة تصميما غريبا فى السعى وراء هدفهم الذى هو تأمين دولتهم فى فلسطين واخضاع جميع الاعتبارات الاخرى لهذا الهدف . ان سياسة التعاون الصهيونية مع النازية حملت الثمار من أوائل أيام صعود هتلر الى السلطة وفقا لارقام الهجرة الصهيونية الى فلسطين . ففى 1932 دخل فلسطين 9000 يهودى ألمانى . وفى 1933 : 20.000 . وفى 1934 : 40.000 . وفى 1935 : 61.000 . فى 1931 لم يكن هناك فى فلسطين غير 174.616 يهودى ، ولكن بحلول 1939 ارتفع الرقم الى 445.457 .

وجنى الزعماء الصهاينة فوائد مالية مهمة من سياستهم بعد الحرب أيضا بعد أن أداروا ظهورهم هكذا لليهود المحكوم عليهم بالفناء ، فان الزعماء أنفسهم استخدموا فيما بعد الابادة لجمع الملايين والملايين ، ولجمع المليارات فى شكل تعويضات من الالمان (8) .

منذ البداية ، كانت الحركة الصهيونية تعتبر مشروعها فى اقامة دولة يهودية شيئا واقعيا استنادا الى واقعة التأخر العربى التى جعلتها تتجاهل الشعب العربى فى فلسطين : أرض بلا شعب لشعب بلا أرض . ومنذ البداية أيضا ، كان واضحا أن الاستراتيجية الصهيونية للسيطرة على فلسطين كانت مرتكزة على تصورات سياسية حديثة :

1) العمل تحت المظلة الاستعمارية على العالم غير الاوربى .

2) الاستناد الى دولة أو أكثر لتحقيق المشروع الصهيونى .

3) عدم الاعلان عن الهدف الاخير (اقامة دولة يهودية) ولكن السير بتدرج وبثبات اليه : « فكر بدولة اسرائيل دوما ولا تتحدث عنها أبدا » .

4) الوصول بالتدرج الى ميزان قوى محلى يهودى ـ فلسطينى يمكن من اقامة الدولة الصهيونية .

اذا تأملنا الحلقة المركزية فى الاستراتيجية الصهيونية المتمثلة بفتح أبواب الهجرة دوما وبدون قيود امام اليهود ، نراها متصلة اتصالا حميما

(8) فارس غلوب . الصهيونية والنازية . علاقات واتفاقات . شؤون فلسطينية عدد 85 . ديسمبر 1978 .

بالهدف الصهيوني الاخير : دولة اسرائيل • ذلك أن استمرار الهجرة وصولا الى تحول الييشوف الى أكثرية (في كل أو بعض فلسطين) يضمن تحول ميزان القوى لصالحه الامر الذى يوازى من الناحية العملية قيام دولة اسرائيل •

بالنسبة للييشوف يبدو ملفتا للنظر منذ الوهلة الاولى تعلقه بيوتوبيا تتمثل في عملية بناء الدولة اليهودية • هذه اليوتوبيا التي لم تضعف التصاقه بالواقعي بل جعلته يتشرب جملة من القيم والمثل منحته بسيكلوجيا ذات طابع ارادي وكفاحي ورسالي (رغم تناقض هذ امع الاستهانة بالغير ، العرب ، ومع محاولة اغتصاب وطن الآخرين) عملت لاستبدال النمط النموذجي القديم لليهودي بنمط نموذجي جديد يعيش على الشغل اليهودي ويرتبط بالارض •

أضف الى ذلك أن الييشوف منظم على عدة أصعدة : على الصعيد السياسي كان ثمة نوع من البرلمان المنتخب ومجلس تنفيذي يلعب دور حكومة تقريبا• على صعيد المدن ، الهستدروت ، الذى يشكل العمود الفقرى للحركة الصهيونية ينظم ويؤطر شغيلة المدن . في الريف الكيبوتزات تؤطر وتعبىء الشغيلة المزارعين • يسيج كل ذلك «الهاغاناه» (قوة الدفاع اليهودية) التي تشكلت بشكل نصف سرى في 1919 ـ 1920 ، واستمرت تنمو كما وكيفا ، وقامت بدور حاسم في حرب 1948 ، ثم تحولت الى «جيش الدفاع الاسرائيلي» . في عام 1942 كان 43000 من الييشوف رجالا ونساء يحملون السلاح كمتطوعين في جيوش الحلفاء • هذه القوة العسكرية التي كانت تشرف عليها سياسيا «الهاغاناه» والتي استفادت من تأهيل عسكرى جيد كانت احدى انجازات الييشوف التي حسمت المعركة مع العرب (9) •

المشكلة الاجتماعية التي حاولت الصهيونية تقديم حل لها هي تركز اليهود في مهن الطبقة الوسطى : التجارة والحرف والمهن الحرة • والحل الذى قدمته الصهيونية يتمثل في تحويل اليهود في فلسطين الى منتجين • وقد عبر عن الاتجاه مفكران صهيونيان بارزان هما غوردون وبورخوف • أعطى الاول العمل مضمونا دينيا وروحيا بينما أعطاه الثاني مبررات اشتراكية ماركسية •

---

(9) ياسين الحافظ • من وعد بلفور الى قيام الدولة • شؤون فلسطينية عدد 81 ـ 82 • أوت ـ سبتمبر 1978 •

لقد تمكنت الصهيونية من احراز نجاحات فى هذا المجال نتيجة الظروف الاضطهادية التى عاشتها أوربا خلال الفترة الانتدابية ، ونتيجة اغلاق ابواب الهجرة اليهودية فى بريطانيا 1906 ، والولايات المتحدة 1921 ، وكندا فى الثلاثينات . وجرى التركيز على تهجيز الشباب وحتى الاطفال ، اذا افتتحت عام 1932 دائرة خاصة فى الوكالة اليهودية هى دائرة هجرة الاطفال • وقد بلغ عدد الاطفال الذين جرى تهجيرهم بين 1932 و 1970 نحو 125 الف طفل• وتقدر نسبتهم الى مجموع الطاقة البشرية فى اسرائيل فى الستينيات حوالى 10 بالمائة . وبعد عام 1948 استفادت الصهيونية من هجرة يهود البلاد العربية وحاصة ذلك القسم الذى يتميز بانخفاض المستوى الثقافى وضعف الامكانيات المادية • واستطاعت تحقيق توسع فى مجال الانتاج الزراعى والصناعى وفى البناء . ونجحت فى تحويل قسل كبير من المهاجرين الى عمال قرويين تحت ظل اللاخيار (15) •

ومنذ البداية أيضا ، أدرك الصهاينة أنهم لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم فى اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين الا اذا حصلوا على تأييد دولى يكفل لهم الشرعية القانونية من وجهة نظر الدول الغربية ذات النفوذ الواسع • وهكذا سعوا الى الحصول على هذا الصك القانونى من الدولة صاحبة السيادة على فلسطين ـ أى الدولة العثمانية • وبذل تيودور هيرتزل جهودا كثيرة لدى أوساط الحكومة العثمانية فى الاستانة فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى وعند السلطان عبد الحميد الثانى • وقدم عروضا مالية لاخراج تركيا من أزماتها الاقتصادية كما بذل الرشاوى بسخاء لموظفى الدولة الكبار دون جدوى • فقد جاء رد السلطان عبد الحميد قاطعا : «لا استطيع ان ابيع قدما واحدة من البلد لانه ليس ملكى بل ملك شعبى • لقد ربح هذه الامبراطورية وغذاها بدمه . وسنغطيها مرة أخرى بدمنا قبل ان نسمح بتمزيقها ••• يستطيع اليهود أن يوفروا ملايينهم • حين تقسم الامبراطورية قد يأخذون فلسطين مقابل لا شىء • لكن لن تقسم الا جثتنا لاننى لن اسمح ابدا بتشريحنا أحياء » . هكذا فهم هيرتزل أن امتلاك فلسطين لا يتم سوى عن طريق انهيار الامبراطورية العثمانية وتقطع أوصالها • وهو ما حدث •

(يتبع)

هشام القروي

---

(15) نزيه قورة • المشروع الصهيونى فى ثلاثين عاما • «ندوة» • شؤون فلسطينية عدد 79 • جوان 1978 •

وجع يقاسمني حبيبي

شعر: عبد الرزاق الفرجة

وجع يقاسمني حبيبي ..
والنجوم على النجوم تساقطت ..
مطرا .

ترى ..
وجعُ القصيدة ؟
أم ، خطايا زهرة التوليبِ
حين تعدلي وطنا يقاتلني
ويدخلُ في دمي سهوا ؟
شهيدُ الحبِّ ،
تسعفه الأهلةُ بالهوى الصوفي
والحي القيوم ،
يغورُ في لحم النوارس ،
خلفه البسمات يذرفن الدّموع
ويقفنَ فوق خدود عاشقةٍ
تسامرها خيولٌ تشرب الشايَ ،
وتقرأ الشعر المعلّقَ في رقاب
الراجماتِ .
حطام عاصمةٍ تشدُ على الزنادِ ،
وتطلقُ الشهداء من فوهات
حلّمتها ،
وأحلم أنني كاشفتها سرّ البدايةِ
في نهاية سادة الصحراء
يا وجعا يقاسمني حبيبي
والنجوم على النجوم تناثرت وردًا
تكحله المسافات القصيرةُ
بين فقد الروح
والخبب الجميل إلى الديارْ .

* * *

سأظل أذكر غربتي بين العشيرة
إنما السلوى احتمال واردٌ
لو تغرب الشمس
صباحا ثم تشرق في المساء

* * *

أشتاق — ياوجعا يقاسمني دمي —
أشتاق والجزُر التي ودّت ودادي
خبأت أحبابها في جثتي
وتسوّرت أسوارها
كانت نواطير الشواطىء واقفه

والغول والعنقاء تحت جناح عاصفة
من القبل « البريئة »
ذاهل .. والقرقعات أليفتي
هل خارج بيتا ؟
أم داخل فوضى ؟
تليق بسمرتي . أم .. ؟
ساهمٌ .. هل يستوي عودي على سيف؟
جراء الأُسْدِ . أشبال الشرى
ما قصّروا .
منحوا جبيني طعنتين
لأنني أومأت « للشرف الرفيعْ »
« حتى يراق على جوانبه الدمْ »
« وتعطلت لغة الكلامْ »
كانت قلوب الطير تسلف خندق
العشاقْ
جاؤوا من الواحات
وشهيد ليلى كان يأتي
عند كل ظهيرة للمنتدى
ويوزّع الأحداق ،
والشعرَ ، والشاي المعطرَ ، والحكايا ،
والبنادقَ
والنجومُ على النجوم تخرّ للشهداء
— ما أجمل الطفل المقشّر في شتيلا !
والنساءُ على النساء يلدن أسراب
السّنونو
والسنون تمرّ من وجع إلى وجع
يقاسمني رغيفي
.. راعفٌ .. بَجَعُ المدينة ..
راعفٌ ..
ودمُ المذيع يسيل في نغم القصيدْ :
قتلى هنا
قتلى هناك
والروح يا ليلى
فداك
قتلى هنا
قتلى هناك
لولا المنيّةُ
ما تقاسَمْنا هواكْ

* * *

هذا ضريحي !
كنت من عامين ، من قرنين ،
من عهدين
فيهِ
أسامر القتلى ، ونحكي عن تضاريس
المكانْ :
قيس تزوج عائشهْ
وتجامعا .. فحبا على صدر الشهيدِ
شهيدُ

بين الهوى والحرب ، كفّ راعشهْ
حطت على قَدَر الوليدْ

* * *

من أين يبدؤني الشجر ؟
والجذع مال على ذراعي مرغما
من أين يكتبني السفر ؟

والأرض قافية تقاسمني الدّماءْ
وجعٌ تعرى في الفؤاد
وأنا هنا بين الحيا والموتْ
حولي مواويلي
والنجوم على النجوم تناثرت :
ياقوتْ

عبد الرزاق الغريخه

فـي الأعـداد القـادمـة ننشـر

صلاة سمراء (قصة) ...... **حياة الرايس**
الجذور (قصة) .... **محمد الجابلي**
وراء الرغيف (قصة) .... **الأخضر التابعي**
قبلات.. ومعزوفة (ابداع) .. **جمال الدين حشاد**
تحليل السراب (شعر) .... **محمد الغزالي**
الأرض والأطفال (شعر) .... **محمد البقلوطي**
فصل من قضية طويلة (شعر) .. **شعبان يوسف**
كبرياء الطين (شعر) ...... **ملك عبد العزيز**

أشجان شيخ كادح

قصة : أحمد الفهري

بعد ان اغلق الحانوت قرابة منتصف النهار من يوم الجمعة ، رجع الجيلاني الى الدار لا يحمل على كتفه ذاك القماش الوبري ليصنع منه برنسا موشى بنقوش جميلة عند الصدر ، فهو قد اعتاد فى وقت القيلولة عندما يغلق الحانوت أن يعمل قليلا فى الدرار حتى موعد أذان العصر ، عندها يصلى حاضرا بالمسجد ويرجع ثانية الى الحانوت .

عندما دخل الى الدار كان مقطب الجبين واجما على غير عادته .. وكانت حالته النفسية تبدو متعكرة كثيرا فحتى اطراف شاربيه الاشيبين كانت ترتعش برفق .. لم يعر اى اهتمام الى زوجته ولا الى اولاده الثلاثة الصغار .. كانت زوجته فى تلك الآونة منهمكة فى تقشير حبات من الفجل لاعداد وجبة من « السلطة » .. اما اولاده فكان احدهم بصدد فتح حقة مصبرات فارغة لصنع لعبة ما .. والآخران يتنازعان من أجل حصان خشبى لا يشبه على كل حال حصان طروادة التاريخى ..

كانت الافكار السيئة تدور بفكره فى ذلك الحين فتجعله مشوشا فلا يستطيع تركيز قواه الذهنية فى اتجاه واحد لكثرة ما احدثته تلك الافكار من بلبلة فى نفسه .

بعد ان اعدت زوجته « السلطة » دعته الى الافطار فأعتذر متعللا بقلة شهيته الى الاكل وعرفت ببداهتها انه يعانى حالة نفسية غير عادية فلم تلح عليه واكتفت بان دعت اولادها الى تناول طعامهم .

لم يستطع البقاء طويلا فى البيت فخرج حالا لا يدرى أين يذهب ولكنه خمن ان يتمشى فى الواحة بعض الوقت فاربما تستريح نفسه المتعبة ويهدأ خاطره المتكدر .

وقبل ان يستدير خارجا لاحظ نظرات الحيرة والاستغراب مرتسمة على وجه زوجته فاشتهى فى تلك اللحظة ان يفتح قلبه ويحكى لها عن همومه وهواجسه ومشاكله ولكنه تصور أنها حتما سترميه بتلك النظرة البلهاء الساذجة فيجد نفسه مضطرا الى ادارة دفة الحديث فى اتجاه آخر كالحديث مثلا عن زوجة أخيها النازح الى العاصمة رغم تطيره من مجرد ذكر اسمها .
قبل أن يصله ذلك المكتوب المشؤوم وقرار مجلس التاديب بفصل ابنه الاكبر من المعهد ، كان هادىء البال رغم الفقر والعسر اللذين يعانيهما ، ولكن المستقبل كان كثيرا ما يشغل باله فهو زيادة على قلة ذات اليد فان اولاده لا يزالون صغارا ولم يحن بعد وقت تشغيلهم أضف الى ذلك عدم امتلاكه لاى شىء يمكن ان يدر عليه ببعض المال يرفع ولو قليلا من دخله المتواضع .. هذا الدخل الذى يحار فى كيفية توزيعه على الحاجيات المتاكدة ... كان فى مقدوره سابقا عندما كانت صحته طيبة ان يحاول الاشتغال فى اى ميدان آخر عوض حرفته هذه التى اضعفت بصره وهدت اصابعه من فرط استعماله للابرة ولكـــــن ...

يجلس الجيلانى كل يوم قرب ابى بكر الخياط يخيط البرانيس ويصنع لها وللجبائب نقوشا جميلة عند الصدر كما يصنع لها زهورا من زغب الخيط فى قمة الطربوش وفى اسفل جناحى البرنوس والجبة .. وهذا العمل يبدو فى ظاهره بسيطا لا يستدعى جهدا كبيرا ولكن الجيلانى يستطيع أن يبرهن لاى كان على ان هذا العمل هو من أتعب الاعمال وارهقها زيادة على انه لا يدر كثيرا من المال على صاحبه فمما يسببه هذا العمل بعد سنوات ـ ضعف البصر وآلام فى مستوى الركبتين والظهر والرقبة وذلك نتيجة الانحناء لمدة طويلة فى اليوم والنظر المستمر الى الابرة .

الا ان الجيلانى لا يقضى وقته كلهوهو هكذا منحن على القماش الوبرى السميك فدكان أبى بكر الخياط يؤمه عدد لا بأس به من الناس الذين يؤنسونه بأحاديثهم المختلفة فهناك « علي حركات » الذى يسمونه « بالاذاعة المتنقلة » وذلك لكثرة ما يجلب وما ينقل من اخبار محلية وجهوية احيانا وهناك صالح البرادعى الذى يكاد يكون حضوره فى الصباح مستمرا .. هذا الرجل القادم من اتون الحرب العالمية الثانية فبدلته التى تبدو عسكرية وحذاؤه « البرودكان » الضخم يعطيانك فكرة واضحة عن ميولات هذه الشخصية التى تبقى غامضة رغم استرسالها فى الاحاديث الحربية وغيرها

فهو لا يترك مناسبة تمر دون ان يذكرك ببطولاته وما ذاقه من ويلات وعذاب ويمزج أحاديثه بأشياء وهمية كان يقول لك مثلا انه عندما كان يقنبل على مدينة برلين وهو يقود الطائرة اذ أصيب جهازها بطلقة نارية وما كان منه بعد اشتعال النار فيها الا ان رمى بنفسه في الهواء مستعملا قميصه كمظلة للنزول ولما اقترب من الارض وقعت يداه على احد المرازيب فتشبثت به وانقذ من الموت وهناك ايضا ابو بكر الخياط هذا الرجل الذى بينه وبين الجيلاني علاقات مهنية وعشرة طويلة والذى فتح له حانوته ليعملا معا وفى ذلك تكامل بين شغليهما فأبو بكر يقيس القماش الوبرى ويقصه على حسب طول الشخص المشترى والجيلاني بعد ذلك يقوم بالخياطة يدويا ويصنع للبرنس تلك النقوش الجميلة وتلك الزهرات الخيطية ثم انه شخص مرح محب للفذلكة والنكت والفكاهة والاحاديث الساخرة .

فى كل صباح بعد فتح الحانوت يخرج الجيلاني كانونا حديديا من خلف الباب ويضع فيه شيئا من الفحم ثم يفرغ عليه قليلا من النفط ويشعله ... فى تلك الاثناء يخرج من ركن الحانوت مخدة هزيلة محشوة بقطع قماشية يجلس عليها ويأخذ ينفضها من الغبار بواسطة عصا فى طول الذراع تستعمل لقيس الاقمشة ... وبعد ان تحمر الجمرات فى الكانون يدخله استعدادا لطبخ الشاى .. وقبل ذلك يكون الجيلاني قد تناول وجبة الصباح لدى محمود الطباخ وهو عبارة عن صحن من « الهريسة » (حمص مطبوخ ممزوج بشىء من الطماطم والفلفل المسحوقين مع قليل من الزيت والتوابل) فهو لا يحب ابدا ان يشرب الشاى الاحمر ومعدته فارغة .

وبما ان الحانوت يقع بسوق « الربع » هذا السوق الذى يحتوى على عدد من الحوانيت لبيع المواد الغذائية والخضر التى غالبا ما تجلب من الواحة كما يحتوى هذا السوق على حانوت حلاقة وحانوت لاصلاح الدراجات الهوائية وحانوت آخر لصانع قدور النحاس المختلفة احجامها ويقوم بتنظيف وتلميع القدور القديمة المسودة وهناك أيضا اسكافى شيخ الا ان هذا الشيخ لا يملك حانوتا بل انه اتخذ مكانا ضيقا تحت حنايا بعض الدكاكين يعمل فيه .

ويمر موزع البريد فى البلدة يوميا على هذا السوق ويقوم بتوزيع الرسائل وفى اكثر الاحيان يترك رزما منها فى هذه الحوانيت ليتولى اصحابها توزيعها ..

وفى ذلك اليوم جاء الموزع برسالة فخفق قلبه بشدة خاصة عندما رأى على ظهرها ختما احمر ولما فضها تأكدت هواجسه واوهامه « ... بعد

اجتماع مجلس التاديب للنظر فى سيرة ابنكم التى لا تشرف المدرسة بأى حال تقرر فصله نهائيا .. »

أحس بآلام الظهر والركبتين تعاوده بشدة وغامت الحروف أمام عينيه وأحس بدقات قلبه الواهنة تضرب بشدة فى دماغه وتراءى له المستقبل شيئا غامضا باهت اللون فى لون برنس قديم فقد لونه وشعر أن عقدا من الزمن قد انسلخ من عمره فى تلك اللحظات قال له أحد اساتذة ابنه يوما :

ـ « ان ابنك النورى يتغيب كثيرا عن الدراسة زد على ذلك سيرته المشينة فى المدرسة ومظهره المخزى الذى يجلب الاشمئزاز .. وذلك نتيجة اختلاطه بالسياح السيئين ... »

وقال له أستاذ آخر :

ـ أنت يا جيلانى رجل عجوز وأنا فى الواقع احس نحوك بالعطف .. ورغم اعداد ابنك الهزيلة جدا فى الامتحانات فانه ما يفتأ يحرض التلاميذ على ليهمسوا عندما أمر فى الساحة « المفتش كعبورة » ولا أستطيع طبعا فى تلك اللحظة الا أن أقضم اظافرى بعصبية ولهذا ترانى حتما مجبورا على منحه اعدادا رديئة هو فى الحقيقة يستحقها .. وهذا ليس ذنبى .. طبعا »

ومن وقتها عرف أن ابنه يتبع طريق الضلال ورغم نصيحته له فى اول الامر وتوبيخه بعد ذلك الا ان هذا الابن العاق بقى على حاله سائبا مع السياح تاركا بذلك دروسه .

ويوم فاجأه وهو يدخن أحس بأن العالم فسد وأن الحياة ما عاد يستسيغها ولم يزد على ان ناداه وقال له بأسف عميق :

ـ « أنت تعرف أنك ما زلت غرا والافضل لك ان تقلع عن التدخين حالا وأن تكف ملاحقة السياح والا .. ستتسبب فى قتلى أيها اللعين .. وقال « اللعين » وهو يصر بأسنانه بتوتر واضح .. وعرف ببداهته ان ابنه لا يدخن فقط بل يشرب الخمر ويزنى ويأكل لحم الخنزير ولا يصوم رمضان و .. و ..

ولما اتم توبيخه له لاحظ ان ابنه يطيل النظر اليه باستخفاف وقع ود وقتها لو هجم عليه بضراوة واعمل اسنانه فى رقبته .

وبما أن هذا الابن صار فى طوله فان الجيلانى صار كل مرة تلتقى عيناه بعينيه يلجم عواطفه المتأججة ويكبت غضبه حتى لا يحشر نفسه فى صدام

بينه وبين هذا الابن الذى صار له لسان حاد كالشفرة .. له بذاءة وقحة وذراع قوية كأذرع الصعاليك .

ويذكر الجيلانى صباه وما كان يكنه من احترام لوالده رحمه الله وكيف كان يكلفه فى بعض الاحيان بحمل عدد من البرانيس والجبائب الى بعض تجار « اللفة » بالوسط والشمال الغربيين حيث تلقى هذه البضاعة رواجا هناك .

وعندما توفى والده ورث عنه هذه الحرفة واستقر فى حانوت ابى بكر وبين الحين والآخر عندما تتجمع لديه عدد من البرانيس والجبائب يقوم بسفرة قد تدوم اسبوعا او عشرة ايام يزور خلالها عددا من المدن والقرى .. ويرجع وقد تحصل على ارباح لا بأس بها .

وبلع الجيلانى السكين بدمها كما يقال وصبر واتجه الى الله يتضرع له ان يهدى هذا الابن الضال الى الطريق القويم .. وضع جميع اسلحته وبقى ينتظر فهو ضعيف والكبر أوهنه والشيخوخة بدأت تهد جسمه علاوة على آلام الظهر والرجلين التى هزت كيانه واثرت فيه بصفة بليغة .

ولكن الشيء الذى يحزنه ان يعجز فى يوم ما واولاده لا يزالون صغارا فكيف يصنع لاعالتهم ؟ انه لا يملك شيئا فى هذه الدنيا .. وهذا الولد الطائش لا يفهم هذا الامر ولا يفكر فى المستقبل البتة .

وعاودته الافكار السيئة فالفى نفسه وحيدا فى هذه الدنيا يصارع من اجل الحياة ويكافح من أجل الحصول على رغيف ممزوج بعرقه وبضوء عينيه الضعيفتين ليوزعه على الافواه المفتوحة التى تنتظر الرزق .. انه يحس بالشيخوخة بدأت تجتاحه وبقواه بدأت تنهد فيتنهد ويدعو الله متضرعا ان يطيل عمره ويمتعه بالصحة حتى يرى اولاده وقد صاروا رجالا يعملون ويحصلون على رزقهم بأنفسهم عندها يسلم أنفاسه الاخيرة وهو مرتاح البال مطمئنا على مصير عائلته .

لم تسقط ولو حلقة واحدة من سلسلة هواجسه واشجانه هذه بالرغم من ارتفاع صوت الخشوع ينادى لصلاة الجمعة ومع ذلك تحامل على نفسه واتجه الى اقرب مسجد ليؤدى صلاته .

احمد الفهيرى

اغنية رجل بدائي

شعر: محمد أحمد سابي

هَبِيني لَمْ أكُنْ رَقْماً
وَمَا مَلَكتْ يَدي كنزاً
هَبِيني كنتُ صُعْلُوكا
مُبَعْثَرَةً
أناشيدي
كأوْرَاقٍ
خَرِيفيَّهْ

* * *

هَبِيني كنتُ أنفاساً
مُدمْدمةً
وثَائرَةً
كأفراس
هِلاَليَّهْ
أما يُغريك بي شظفي
وألواني البِدَائيّهْ ؟

* * *

ستكبُرُ فيكِ عاطفتي
وتهبِط مثلَ أنغام
وتغزُوكِ

وتغزوكِ
كألويةٍ مغوليّه

* * *

سيورقُ للهوى نغمٌ
وأشذاءٌ
سيعبق للشذا لحنٌ
وأنغامٌ
وأنغامٌ ربيعيّه

* * *

سيملأُ قلبكِ
شوقٌ
وأخيلةٌ
وأوهامٌ
وأحلامٌ غراميّه
ستدفعُ رجلكِ
يوماً
إلى بابي
سيبسم ثغركِ
يوماً
إلى قلبي
ستبسط كفّكِ
يوماً
إلى دربي
ويفتحُ قلبكِ

يتنومـاً
إلى حُبّي
لأنغامي الخيَاليـّة

* * *

سيَطرُقُ جفنَكِ
سُهْد
سينقرُ قلبكِ
عَطَشٌ
لعيني
لشكـل فمـي
لأرْوِقَتِي الخرافيـة

* * *

فإن لفّ السريرَ
دُجَى
وتَاه القلبُ خَلْفَ رُؤى
وأحْلامٍ حَريريّة
سيَرْكض في دمَاكِ
الوحش مُنْطلِقاً
بآهاتٍ
وأنَاتٍ
جُنُونيـّه

محمد أحمد ساسي
(منزل تميم)

حوائل النهضة الأدبية الموريتانية

بقلم : الشاذلي الساكر

— 1 —

الادب الموريتاني مهمل تماما من طرف وسائل الاعلام العربية ، ومن كل الباحثين والكتاب العرب ، وهذا الادب مجهول تماما عند الخاصة والعامة على امتداد الوطن العربي . واعتقد أنه دون غيره من الآداب ما يزال مطمورا مقصوص الجناح ، ولم يسمح له بعد أن يصبح رافدا مؤثرا ومتأثرا من روافد ما يسمى بالنهضة العربية المقتبسة عن الغرب .

اما سبب هذا الاهمال فهو معروف . لقد اعتدنا في الوطن العربي أن ان نحتكر وسائل اعلامنا للتعريف بأدبنا وفنوننا وثقافتنا ! ... ثم إن أول صحيفة يومية موريتانية ظهرت في سنة 1975 ... ولم تبدأ الدولة الموريتانية في جمع واحصاء وتوثيق تراثها المكتوب الكلاسيكي منه والحديث الا في السبعينات ، ولم تبدأ بعد مرحلة التعريف به . وهذا التقصير الذاتي من طرف الموريتاني نفسه ، واللامبالات من طرف المواطن العربي جعلا من الادب الموريتاني نسيا منسيا .

أما ما كتب في الازمنة المعاصرة للتعريف بالثقافة والادب والتاريخ الموريتاني فقليل ، وقليل جدا ... باللغة الفرنسية نجد المصنفات التالية : « مقاطعة أدرار » (للعقيد غورو) ، و « التغلغل داخل موريتانيا » (لبريفتال جيليان) (1926) ، و « صحراء خصبة » (لكرستين غارنييه) (1960) ، و « مدخل للتاريخ الموريتاني » (لجنيفياف ديزيري فلمبن) (1962) . وكلها ذات قيمة تاريخية محدودة تشويهية ، كلها مغالطات تبرر تجاوزات الاستعمار وتظهره في إشراقة الشمس ونصاعة الثلج وتظهر الموريتاني في سواد الفحم .

كما نجد بعض المصنفات بالعربية وهي : « شعـراء موريتانيـا القدمـاء والمحدثون » (ليوسف مقلد) ، و « جمهورية موريتانيا الاسلامية » (ليونس بحري) ، و « تطور الادب في موريتانيا » (لأحمد بن أحمد الموريتاني) ، وهذه المصنفات ، بالرغم من نواياهـا الحسنـة ، تنقصهـا مـراجع التوسـع والمنهجية الصارمة والتقيد العلمي الضروري لمثل هذه المباحث الرائدة .

وقد أصدرت مجلة « الفكر » التونسية (س 23 – ع 2 – نوفمبر 1977) بالتعاون مع رابطة الادباء الموريتانيين ملفا خاصا بالادب الموريتاني ، يقع لاول مرة في تاريخ المجلات العربية ، على ما أعلمه . وأنا أعتبر أن هذا الملـف هو قنطرة عبور شيدتها هذه المجلة ، لتـدعيم التـواصل بيننـا وبين شقيقتنـا موريتانيـا .

— II —

حشد الاستعمار طاقات هامة للحد من كل مد ثقافي وحركة أدبية بقمع كل محاولة جادة للكتابة اشتكى محمد بن محمود بن بدره في تأليفه من صعوبة التأليف نظرا لوجود الحاكم الفرنسي كابولاني في البلاد . كمـا عمـل على القضاء على كل المخطوطات المعبرة عن الاصالة ، إتلافا ونهبا ، وكل ما رمى اليه هو إيجاد فئة تكتب بلغته لكي تبرر تجاوزاته من ناحية وترسخ لغته وثقافته في الشعب الموريتاني من ناحية ثانية ، وقد استعمل لذلك كـل المغريـات المادية والحيل التنظيمية ، لكن بدون جدوى لان الرفض للحضارة والثقـافة والتعليم الفرنسي كان مطلقا ، وبالتالي بقيت موريتانيا محافظة على كل نظمها الاجتماعية والسياسية والثقافية والتعليمية العربية الاسلامية وبقيت خارج دائرة الانماط الادبية الغربية من شعر حر ورواية وقصة ومسرحية واعتبرت أن الاستسلام لمثل هذه التيارات كفر وردة يقطع على مرتكبها طريق التوبة .

بداية من سنة 1936 ، بعد انتهاء المقاومة الشعبية مباشرة عمل الاستعمار على تعميق التركيبة الاجتماعية القائمة على القبلية ، أي صيرت التكتل القبلي هو النموذج السياسي والاجتماعي لكل عناصر المجتمع الموريتاني الابيض منه والاسمر ، ولم يتح لها أن تحقق وحدتها حول زعيم فرد أو عاصمة قاهرة ، وبانعدام مفهوم الامة ، أخذت القبلية كل الصلاحيات ، منها الثقـافية طبعـا كما انتهج الاستعمار بداية من السنة المذكورة سيـاسة « تهـدئة » ... لان

الاستعمار يدرك جيدا ان الوحدة القومية الموريتانية والشعور بالانتماء هو الخطر الوحيد القادر على تفتيته . وطبيعة التركيبة القبلية تلفظ احلال اية ثقافة ـ وخصوصا الغربية منها ـ مكان ثقافتها التقليدية السلفية .

— III —

مناخ موريتانيا شديد القساوة شديد الحرارة، صحراؤها الفسيحة، عزلتها عن كل بؤر الثقافة المتوسطية والافريقية، اقتصادها أعجف يرتكز بالاساس على الزراعة البعلية وتربية الماشية ، كل هذه الحوائل جعلت منه شعبا راسخ الجذور فى تقاليده وعاداته ، ثابتا فى دينه ، بسيطا فى معاشه وملبسه ومسكنه وبالتالى عرقلت عنده عملية اقتباس الانماط الادبية الحديثة .

ثم إن هنالك عدة لهجات متواجدة فى موريتانيا ، وهى الحسانية وهى عربية محرفة وفيها الكثير من الالفاظ البربرية ، وهنالك اللهجة الصنهاجية وهى قريبة من اللهجة الشلحية وفيها ألفاظ فرنسية وهناك اللهجة التكرورية واللهجة السرغلية واللهجة الوليفية . كما أن هنالك فئتين اجتماعيتين . الفئة الاولى وهى العربية ، وتمثل أربعة أخماس السكان ومساكنهم غرب الصحراء (على شاطىء المحيط) وهؤلاء العرب هم احفاد المرابطين من لمتونة وعدالة ومسوغة ، وتنقسم هذه الفئة الى ثلاث طبقات ، الاولى تمثل سيادة السلاح والحكم ، والثانية تتولى الخطط الدينية والتعليمية ، والثالثة تقوم بالحرف والصنائع وكل وجوه الحياة . وعلى هذه الطبقة مغرم لطبقتين الاعلى . والفئة الثانية وهم السمر وهى خليط من السرغلات والتكارير والفلان ، وأقلية من الولف ومساكنهم شواطىء نهر السنغال . وكثرة اللهجات وهذا التقسيم الفئوى العرقى الطبقى ساعدا بدون أدنى شك فى عرقلة النهضة الادبية الموريتانية ، وقد اضمحل الآن .

— IV —

« المحاضر » فى موريتانيا هى عبارة عن مؤسسات تعليمية وتربوية أسسها الداعية المرابطى عبد الله بن ياسين ، حافظت وحدها على المقومات الدينية والاخلاقية وعلى الاسس الثقافية والادبية للشعب الموريتانى على امتداد قرون وبالاخص الكاوية منها . وكانت قواسمها المشتركة هى الانتماء الى المذهب المالكى فى الفقه والمنهج البصرى فى النحو والنمط الجاهلى فى الشعر . وكانت

كلها تدرس المعارف الاسلامية بجميع أبوابها بدرجة أولى القـرآن ورسمـه وضبطه وتجويده ، والحديث ومصطلحه والسيرة وغزوات الرسـول وصحبـه وفتوحاتهم وأنسابهم وبدرجة ثانية علوم اللغة والبلاغة والنحو والعـروض وبدرجة ثالثة التاريخ وانساب العرب وأيامهم وبدرجة رابعة العدد والهندسة والمنطق والفلك . وقد بلغت التآليف في هذه الفروع المعرفية ثلاثة آلاف بين منثورة أو منظومة ، مطولة أو موجزة ، وما يهمنا الآن هي الانماط الادبية التي احتضنتها المحاضر .

اعتنت « المحضرة » بالادب كما ذكرنا لكنها اعتنت أكثر بالشعر وهي التي حددت مبناه ومضامينه . وهو ينقسم الى مدرستين ، الاولى ، المدرسة الجاهلية التي استوحت أشعارها من الشماخ بن ضرار واعشى قيس ومن سار مسارهم ومن أهم ممثليها محمد ابن الطلبة ومحمد النانه بن المعلي ومحمد السالم بن الشيين ومحمد بن الطلب التيرسي ومحمد بن احميد .

والثانية هي الولاتية ، وقد اهتمت بالمدائح النبوية على الطريقة البوصيرية أو البرعية ، وبالمواعظ ونظم القواعد العلمية . وكانت هذه المدرسة ترى أن في الشعر رجسا من عمل الشيطان الا ما كان منه ذا طابع ديني بحت وكان من أبرز ممثلي هذه المدرسة الشيخ سيدي محمد ومحمد بن محمدي .

لم يتخلص الشعر الموريتاني الى اليوم من القوالب و « الكليشهات » التي رسختها المحضرة واعتبرتها نماذج مثالية جديرة وحدها بالاقتداء ، وهكـذا فحتى الشعر ، الذي هو الآن أنضج الاعمال الثقافية في الوطن العربي ما زال يترقب في طاقته الدافعة وهي آتية لا ريب .

الشـاذلي الساكـر

من أين تبتدئ الحكاية يا "علي" ..

شعر : سالم الشعباني

يا علي ...
من أين نبتدىء الكلام
والصمت يا أغلى الاحبّة من ذهبْ
الصمت بركان الغضبْ
وأنا فؤادي بارد كالثلج .. أبيض كالرخامْ

* * *

من أين نبتدىء القصيد
عن أخضر العينين يحلم في صباح العيد
بالكبش ... بالمزمار ... بالثوب الجديد
وبطلقة البارود
ويظل يرقب دامع العينين يحلم بالعديدِ
وبالعديد
حتى اذا ما الليل ارخى ستره المسودّ
نام على الوعود
نم يا بني غدا يعود الوالد الفلاّح من أرض الجريد
لك حاملا ما تشتهي .. أوما تريد

* * *

الأم تحضنُ فرخَهـا .. تحنو عليه ... تجوعُ كي يقتـاتْ
جاعت ولم تـأكل بثدييهـا فما أقسى الحيـاة !
كل الذين عرفتهـا قد مـاتوا ..
لم يبق غير وحيدها في الحي كالعقد الفريد
والوالد الفلاح سافر ذات يوم للبعيد ولن يعود
من أين تبتـدىء الحكايـة
ليلى التقيت بهـا وكان الشعر منسـابا على الكتفين
يخفق مثـل رايـه
تلهو الريـاح به وكان العطر من فستانهـا « الدرماي »
قـد غمر الزوايـا
قالت: أحبك !
قلت :بئس الحب ! ليس الحب للفقراء غايـه
لي غـاية أخرى فشدّي النعل وانصرفي وسيري
لا لن أحبّك يا ابنـة النبـلاء فانتفضي .. وطيري

* * *

ليلى التقت بعدي بأحلام وايناس وسلوى
فتحدثت معهن في شتى القضـايا والمشـاكلْ
عن ثوب يوم العيد بعد مُضي اسبوع بلى .. فرمته في كوم المزابلْ!
عن قرطهـا الذهبي تنوي عجنه في شكل عقد أو سلاسلْ
عن أحمر الشفتين من باريس اصبح هذه الأيـام « شاحب »
عن زينب الزنجية السوداء خادمة المنازل لم ترش سريرهـا عطرا مناسب .

* * *

ليلى وأحلام تحدثـا عن الشعراء في كل العصور
أنا لم أرَ أبدا كهذا الشاعر الصعلوك ليس له شعور

قد قال لي : — أنا لا أحبُّ ...
— اذن فليس بشاعر هذا ولكن ربما شعرور
— ما قيمة الشعراء ان لم يكتبوا عن جيدي المصقول
عن خدّي النضير ؟
الشاعر المسكين يعصر مخّه عصرا لينشر في الجريده
للقارىء العربيِّ بيتا أو قصيده
والقارىء العربي لا يهوى سوى ركن الرياضه
فالشعر أصبح في بلادى ساحة للاقتتال
ومسرحا للانتفاضه
البعض من شعرائنا المتشعررين تفلسفوا
خرجوا عن الأوزان كل منهمو أبدى اعتراضه
يا بئس هذا الشعر ! ينزلُ للسفاسف يرتدي
باسم الطليعة جبّة فضفاضه !

سالم الشعباني

الحضور السياسي في «مشرد بلا خطيئة»

بقلم: سرڤاي روداسيوف

امتلك الفن القصصي السعودي أحقية الحضور متأخرا نسبيا (1) ويجمل بنا - وهو في مراحل تطوره هذه - أن نبادره بالتناول النقدي وباكتراث اضافي، بحثا عن مواطن الابداع والاضافة فيه.

تحضرنا في المجالين: القصصي والروائي أسماء رائدة نذكر منها: **حامد دمنهوري** في «**ثمن التضحية**» (1959)، **محمد حسن عواد في «لميـاء»** (وهي عبارة عن خواطر ذات نزوع قصصي)، **سيف الدين عاشور في «لا تقل وداعا»**، **حسن القرشي** في «**عاصفة**»، **سعد البواردي** في «**من يكون أبي يا أماه ؟**»، **عبد الله عبد الرحمان جعفري** في «**كارثة شيء بسيط**»، **ابراهيم الناصر** في «**خلود**» (2)، **فؤاد عبد الحميد عنقاوي** في «**لا ظل تحت**

---

(1) الحق أن فن القصة بدأ متأخرا في الادب السعودي، وامتزج في محاولاته الاولى بضروب أخرى من فن القول كالمقالة والمفاخرة والرسالة، ويمكن القول كما يجمع الباحثون: إن سنة 1349 هـ (1930 م) هي التي شهدت ميلاد فن الرواية بصدور «**التوأمان**» و«**مرهم التناسي في صيدلية الآمال**» **لعبد القدوس الانصاري** و«**الفكرة**» **لاحمد السباعي** (1948 م) و«**البعث**» **لمحمد علي مغربي** (1948م) (*).

(*) مجلة **الفيصل**: العدد 68 - صفر 1403 هـ - كانون الاول (ديسمبر 1982)، ص 66؛ مقدمة **عزيز ضياء** لرواية «**غدا أنسى**» **لدى امل محمد شطا**، ط 1، جدة، 1400 هـ - 1980 م، ص 12؛ مقدمة **لدى منصور الحازمي** لرواية «**ثمن التضحية**» لحامد دمنهوري، ط 2، الرياض، 1400 هـ - 1980 م، ص ص 9 - 10.

(2) مقدمة **عبد الله بوقس** لمجموعته القصصية «**خدعتني بحبها**»، ط 1، جدة، 1401 هـ - 1981 م، ص 9.

الجبل» ، د. أمل محمد شطا فى **«غداً أنسى»** و د. **محمد عبده يمانى** فى **«اليد السفلى»** و **«مشرد بلا خطيئة»** و **«فتاة من حائل»** و **«جراح البحر»** ...

تتبدى من خلال هذا النتاج الادبى معالجات فنية لقضايا اجتماعية شتى لا ينى يعيشها الكاتب السعودى يوميا ويتفاعل معها بعمق وبوعي ، وهى تتمحور كلها تقريبا حول اشكاليات محلية هامة وتبحث فى الآن نفسه فى قضايا ذات اهاب عالمى : القضية الفلسطينية مثلا .

ان الادب السعودى يعى مدى ضرورة التجاوز ، لاذابة حواجز التقوقع الاقليمى . فهو لا يدخر جهدا فى سبيل التواصل مع أدباء مشاهير وقفوا على مشارف العالمية كـ : **شكسبير وموليار وبلزاك وموباسان وسومرست موم وليون تولستوى وتشيكوف وغوركى** .. (3) التحاما فعليا مع هاجس الابداع فيهم وافادة من اضاءاتهم الادبية الخالدة ..

★ « **مشرد بلا خطيئة** » لـ : **د. محمد عبده يمانى**

★ **د. محمد عبده يمانى** : من مواليد 1359 هـ بمكة المكرمة .

- حصل على الباكالوريا فى الجيولوجيا من جامعة الملك سعود (الرياض)
- نال الدكتوراه من جامعة كورنيل (الولايات المتحدة الامريكية) .
- عمل معيدا فى كلية العلوم بجامعة الملك سعود ثم وكيلا ومحاضرا فيها
- درس فى الثانوية العسكرية ثم فى الكلية الحربية فكلية الاركان .
- عين وكيلا لوزارة المعارف (الشؤون الفنية) .

---

(3) «قصص من **سومرست موم**» **لعزيز ضياء** ، ط. 1 ، جدة ، 1403 هـ . 1983 م ؛ مجموعة قصصية مترجمة **«بائع التبغ» لحمزة بوقرى** ، ط. 1 جدة ، 1400 هـ - 1981 م ؛

مجلة «المجلة العربية» ؛ العدد 70 - ذو العقدة 1403 هـ . - ايلول (سبتمبر) 1983 م ؛

جريدة الرياض ، الاثنين 3 ذو الحجة 1402 هـ - 20 سبتمبر - العدد 5231 ، الخ ..

ـ عين وكيلا لجامعة الملك عبد العزيز بجدة ثم مديرا لها .

ـ عين وزيرا للاعلام سنة 1375 هـ (4) واستقال سنة 1403 هـ .

★ **مؤلفاته :**

ـ « الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية فى المملكة العربية السعودية » ـ ط : 2 ، جدة ، 1400 هـ / 1980 م .

ـ «المعادلة الحرجة فى حياة الامة الاسلامية» ـ ط. 2 ، جدة ، 1399 ـ 1400 هـ .

ـ «نظريات علمية حول غزو الفضاء» ـ ط 1 ، جدة (بلا تاريخ) .

ـ «اليد السفلى» : قصتان مطولتان («اليد السفلى» : قصة سعودية ، «مشرد بلا خطيئة» : قصة فلسطينية) ط 1 ـ الرياض 1399 هـ / 1979 م

ـ «الاطباق الطائرة : حقيقة أم خيال؟» ط 1 ـ الرياض 1400 هـ / 1980 م

ـ «فتاة من حائل» ، رواية سعودية ـ ط 1 ـ الرياض 1400 هـ / 1980 م

ـ «جراح البحر» ، مجموعة قصصية ـ ط 1 ـ الرياض 1402 هـ / 1982 م

ـ « اليد السفلى » قصة من اعداد يعقوب محمد اسحاق ـ ط 1 ـ جدة 1403 هـ / 1983 م .

ـ «امرأة فى الظلال» ، قصة نشرت فى ملحق الاربعاء (ابتداءا من العدد العاشر ـ 6 / 4 / 1983 م) .

---

(4) قصة «اليد السفلى» لد. محمد عبده يمانى ، من اعداد يعقوب محمد اسحاق 2 ، ط. 1 ، جدة ، 1403 ؛
مجلة **الفيصل** ، العدد / 6 ، ص . 4 .

«**مشرد بلا خطيئة**» : قصة سعودية للدكتور **محمد عبده يماني** (رائد الواقعية الكلاسيكية فى أدب المملكة العربية السعودية) (5) ، تشيع الحركية وتثير الاسئلة ، لا لانها تتمثل السياسى فى مضمونها كأول بادرة سعودية فى المجال القصصى ، ولكن لوقوفها الفنى بندية تامة مع أفضل النماذج الابداعية العربية : قصصيا وروائيا لكل من **غسان كنفانى وتوفيق فياض ومحمد صدقى وسهيل ادريس وألفة الادلبى واحمد خلف واميل حبيبى وعيسى الناعورى وعمران عمران** وغيرهم من الذين تناولوا الهم الفلسطينى كقضية ملحة .

يقول د. محمد عبده يمانى عن « مشرد بلا خطيئة » : «**لقد استوحيتها من واقع الالم التاريخى الذى ليس له مثيل ، ذاك الذى عاناه ويعانيه اخواننا الفلسطينيون أصحاب فلسطين وأهلها ومن التطورات التى طرأت على القضية الفلسطينية** ، منذ أن بدأت أقسى جريمة للتهجير ـ **تناولت شعبا باكمله ـ الى أن وجد هذا الشعب نفسه مرغما على أن يحمل البندقية ، ويدافع عن قضيته بنفسه**» (6) .

وعن أبطالها ، يستطرد قائلا : «**ان ابراهيم مثلا هو كل شاب فلسطينى ، وجد نفسه بلا بيت ولا وطن من غير أدنى خطيئة ارتكبها ، فكان من حقه اذن ، بل من واجبه أن يحمل السلاح وأن يحاول استرداد أرضه بالقوة كما أخذت منه بالقوة .**

وأم ابراهيم هى كل أم فلسطينية ، عانت وتعذبت وكافحت وعاشت الاهوال كى تقيم أود ولدها وأودها ، وتؤمن له أسباب الحياة فى ظروف بالغة الصعوبة والقسوة فى المخيمات ، بينما الغاصب الدخيل يحتل ويعيش على أرضها ووطنها .

---

(5) «**أزمة التكوين الانسانى فى قصص عبد العزيز الصعقبى**» مقالة **خالد المحاميد** ، جريدة الرياض ـ العدد 5517 ، 1 أغسطس 1983 م .

(6) مقدمة د. **محمد عبده يمانى** لمجموعته القصصية «**اليد السفلى**» ـ ط 1 ، الرياض ، 1399 هـ . ـ 1979 م ، ص 7 .

ونمر هو كل رجل فلسطينى وعى الاحداث منذ وقوعها وكـان عليه أن يقاتل فى جبهتين : جبهة الحياة لكى يؤمن حياته ، وجبهة الجهاد ضد العدو الغاصب ٠

وحاييم هو ذاته النموذج الصهيونى الذى ينضح لؤما وخبثا وغدرا وخيانة وهو الضعيف المسكين ظاهرا ، وهو الغادر المنكر للجميع ، المسىء لمن أحسن اليه باطنا» ٠ (7)

اذن رأى الكاتب أن مهمته الادبية والانسانية تتمثل فى «**جمع تلك القطع المتناثرة من اللوحة الاصلية ، واعادة تشكيلها فى قالب جديد ـ من خـلال رؤيته الخاصة ـ فاخذ من الحقيقة وقائعها التاريخية الثابتة ومـن الخيـال آفاقه التى تشكل الاطار الذى أراده لهذه اللوحة» ٠٠ (8)**

ما هى أبعاد «**مشرد بلا خطيئة**» ؟

وكيف تطورت الاحداث وتشابكت ، لتتماس وقضايا عالمية ؟

٠٠ تقع «**عين كارم**» : البلدة الصغيرة على بعد عدة كيلومترات من القدس وتجرى الحياة بها تقليدية ، هادئة ٠ يرسم المؤلف صورة شبه مثالية لمعاملة سكان عين كارم لعائلة التاجر اليهودى وقد استخدم د٠ محمد عبده يمـانى لمأساة قادمة لا ينى يحسها سكان تلك القرية ٠

تشى صداقة عائلة الحاج «ابراهيم» العربية مع عائلة اليهودى «**حاييم**» ـ وخاصة صداقة الولدين «ابراهيم» «**ويورى**» ـ بشحنة فلسفية ، اخلاقية ٠

ويركز المؤلف ـ من خلال افادات شخوصه فى القصة ـ على أن الفـوارق الثقافية والدينية والاخلاقية لا تستطيع ان تأتى على سعى الشعوب المختلفة الى التعايش السلمى ، مع الاشارة الى مدى التناقض بين معـاملة سكـان «عين كارم» المخلصة ، لليهود والذين يريدون العيش فى كنف السلم والهدوء وبين المساعى الشوفينية ، العنصرية لليهودى «حاييم» وعـائلته الملـوثـة بالدعاية الصهيونية ٠

---

(7) نفس المصدر ـ ص٠ص٠ 7 ـ 8 ٠
(8) نفس المصدر ـ ص٠ 8 ٠

فى «مشرد بلا خطيئة» معان فلسفية عميقة : «ولكن أحدا ما ، من الفلسطينيين الاصليين لم يحاول أن يسيء الى حاييم بكلمة أو اشارة ، فهم يعرفون الظروف التى هاجر فيها ويعرفون انه انسان مسالم لم يتحدث فى السياسة قط ، ولم يحاول ان يعلق بحرف ، سلبا او ايجابا ، على الاضطرابات التى كانت تجتاح فلسطين ، والصراع بين العرب واليهود ، والثورات التى قام بها العرب والاعمال التى قام بها الارهابيون اليهود كل ذلك لم يكن يعنى «حاييم» ـ تاجر الزيت ـ فى شىء ٠٠ وظل يمارس حياته بصورة طبيعية تماما فى «عين كارم» ، متعايشا مع الآخرين الذين كانوا ـ كما هى شيمتهم ـ يحرصون على الحفاظ على شعوره وحياته خلال الاحداث والاضطرابات التى كانت تتصاعد يوما بعد يوم ، مع اقتراب موعد الجلاء البريطانى عن فلسطين وتصاعد عمليات العنف من الطرفين : العربى واليهودى» (9) ٠

يضع الناقد السعودى **حامد عباس** النقاط على مدى تناقض العلاقة بين العربى واليهودى وما يفرزه هذا التناقض من انعكاسات على سلوكات الطرفين (انظر مثلا : صداقة الطفل العربى «**ابراهيم**» مع الطفل «**يورى**» واخته «**راشيل**») ٠

تشى قصة **د٠ محمد عبده يمانى** بتوترات داخلية تفضى الى تناقضات جوهرية هى بدورها انعكاس لاختلافات سياسية واجتماعية :

«٠٠٠ ويدور حوار بين الحاج واليهودى يدل على لؤم وخبث هذا اليهودى:

ـ ٠٠ والحق ، أهل البلدة يعاملوننى أحسن معاملة ، ويتعاملون معى بصدق وأمانة واخلاص ولكننى أتساءل : الى متى يدوم ذلك ٠ ومتى تصل نار القتال الى «عين كارم» ٠

ـ ★ ما هذه الاوهام يا رجل ٠ أنت تعرف الاخلاق العربية جيدا ٠٠

ـ أجل ، ولكننى أعرف أيضا أخلاق قومى ، أعنى ٠٠ الخلاق اليهودية ٠

---

(9) قصة «مشرد بلا خطيئة» لد٠ محمد عبده يمانى من مجموعته القصصية «اليد السفلى» ، ط٠ ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ٠ ـ 1979 م ، ص٠ ١٤٢ ٠

ـ ★ ماذا تقصد ؟٠٠

ـ لست اقصد أكثر مما أسمع وأرى ٠٠ وان زعماء اليهود يعلنون تصميمهم على اقامة دولة يهودية فى فلسطين وهم يلجؤون الى العنف فى محاولة تحقيق مآربهم هذا ٠ ألم تسمع بالاعمال الارهابية التى تقوم بها عصابات «الهاجانا» و «شتيرن» و «الارغون» ، انها تعيث فى فلسطين فسادا» (10) ٠

ويمضى **حامد عباس** بعيدا فى تقصى الابعاد واستكناه الحقائق ، متمثلا فى كل ذلك بسيكولوجية اليهودى الذى لا ينى يكن للعربى شتى ضروب الحقد والتشفى : ٠٠٠ **والتفت «يورى» الى «ابراهيم» وقال له متسائلا :**

ـ ما الذى جاء بك تلك الليلة الى بيتنا ٠ لقد كدنا نموت من الرعب عندما رأينا شبحك يقف علينا من نافذة المطبخ ٠

ورد «ابراهيم» ببساطة تامة :

★ لقد اجبتك من قبل ، كنت خائفا عليك واردت أن اطمئن ٠٠ فانت أحب اصدقائى الى ٠

واردف «ابراهيم» مستغربا :

★ ما الذى جعلكم تخافون عندما رأيتونى تلك الليلة ٠٠ هل أنا مخيف الى هذا الحد ٠

ـ لست أدرى ، أبى وأمى كانا يحذراننا دائما منكم ٠

★ منا ٠٠؟ من نحن ؟٠٠

ـ أنتم العرب ٠٠

★ العرب ٠ وما الفرق بيننا وبينكم ٠ ان أباك صديق حميم لابى كما تعلم ٠٠٠ وكذلك أمى ، انها صديقة لامك ٠٠

---

(10) **«قضية الثقافة فى بلادنا» لحامد عباس** ، ط٠ ١ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، ص‌ص ٠ ١٠٨ ـ ١٠٩ ٠

ـ لست أدرى ، لست أدرى ٠٠ أرجوك ، دعنا من هذا الموضوع ٠٠) (11)

تتطور أحداث القصة ـ أى الاحداث الفلسطينية ـ بصورة عنيفة وخطيرة، ولقد شهد سكان **«عيـن كـارم»** مدى وحشية العصابات الاسرائيلية التى أبادت قرية **«ديـر يـاسين»** الفلسطينية ، فوقعت فى ما وقعت فيه قريتا **«ليديتسه»** التشيكوسلوفاكية و **«خاتين»** البيلوروسية واللتان اجتـاحهمـا جيش ألمانيا الفاشية كدليل صارخ على همجية القرن العشرين ٠٠ وكم هى رائعة صورة التآخى لدى الصبيين : العربى واليهودى والتى تقـول ببنـاء صداقة دائمة كالوشم ، يمليها نزوع عاطفى وعفوى ٠٠

(٠٠ ـ «يورى» ، ما رأيك فى أن نسجل صداقتنا على ذراعينا !

ولم يفهم «يورى» وسأله عما يقصد ، فقال له «ابراهيم» بحماسة :

ـ ان هؤلاء الغجريات ينقشن الوشم على أجسام الناس ، على أذرعهم ٠٠ فما رأيك فى أن نطلب من هذه الغجرية أن تنقش لنا وشما عـلى ذراعـى وذراعك ، وبهذا يكون الوشم تسجيلا لصداقتنا نذكره مدى الحياة) (12) ٠

مضى زمن ومضت معه حرب عربية اسرائيلية سنة 1948 م ٠٠ تشردت عائلات شهداء «**عين كارم**» وانتهى المطاف بها الى «**القدس**» ، ونمـا «**ابراهيم**» وزاول دراسته فى كنف «**أم ابراهيم**» وصديقه الاكبر «**نمر**» وفجاة ٠٠ كان العدوان الصهيونى سنة 1967 م ، فكان التشرد من جـديـد والرحيـل الى «**الاردن**» ٠ تضخمت كراهية «**ابراهيم**» تجاه من سلبه أرضه وقتل أباه ٠٠

فى حوارية «نمر» و «ابراهيم» شحنة بسيكولوجية هائلة فجرها انحسار القناع عن عينيه ووعيه العميق لكلمتى : صديق وعدو ٠٠

لقد بات «**ابراهيم**» يعى من هو ٠ ومن أولئك : الذين ما انفك يعايشهم بتلقائية الغر ، ويعايشونه بمنطق المعادلة الدنيئة : نفاق + نفاق = اتفاقا.

---

(11) نفس المصدر ـ ص‌ص ٠ 110 ـ 111 ٠

(12) **«اليد السفلى» لد٠ محمد عبده يمانى** ، ط٠ 1 ، الرياض ، 1399 هـ ـ 1979 م ، ص‌ص ٠ 162 ، 164 ٠

«٠٠ ـ اسمع يا «ابراهيم» ، يجب ان تفهم ان «يورى» وأباه وأمه وأخته وقومه جميعا هم اعداؤك ، مثلما هم أعداؤنا ٠٠ لقد كنا نأمل فى ان نعيش معا كفلسطينيين ، مسلمين ومسيحيين ويهودا ، وان يأخذ كل ذى حق حقه من غير أن يتجاوز حقوق الآخرين ٠٠ ولكن اليهود ٠٠ وأخرجونا من ديارنا، وها نحن كما ترى ٠ بالامس خرجنا من «عين كارم» الى «القدس» ، وبعده خرجنا من القدس الى «أريحا» ، وليس يعلم الا الله اين نكون غدا ، ولقد أمرنا الله تعالى أن نرد العدوان بمثله وأن نعد لعدونا ما استطعنا من قوة ٠٠ ولسوف يأتى اليوم الذى نستجمع فيه قوانا وننظم صفوفنا ، ونعود الى ارضنا بقوة حقنا ، وقوة ذراعنا ٠٠» (13) ٠

ويأتى يوم الكرامة فى معركة الكرامة يكون فيه الانتصار للفدائى الفلسطينى ويتنفس «**ابراهيم**» الصعداء ، وحين يكلف بحراسة جمع من الاسرى الاسرائيليين ، يكتشف صدفة وشما منقوشا على ذراع أحدهم هو «**يورى**» صديق طفولته ٠٠ ويكون حوار ساخن ، يستشف القارىء من خلاله ان الفلسطينى «**مشرد بلا خطيئة**» :

«٠٠ فقال «ابراهيم» : تلك الاحداث التى اعرفها حق المعرفة ، لانى عشتها ، عشتها تشردا وتنقلا من مكان الى آخر ، عشتها جوعا وفاقة ٠٠ الا قل يا «يورى» ، ما الذى جاء بك الى هنا ؟٠٠

★ انها الاوامر ٠٠ فانا كما ترى مجند فى جيش الدفاع الاسرائيلى ٠٠

ـ جيش الدفاع ؟٠٠ رباه ما اضخم هذه الاكذوبة ٠ الدفاع ضد من ؟٠

★ ان دولتنا تعيش وسط اخطار عظيمة ، هذا شىء معروف ٠٠

ـ ومن الذى صنع هذه الاخطار وتسبب فيها ؟٠٠

★ انكم معشر العرب ، تكرهوننا ٠٠

ـ نكرهكم ؟٠ انك لم تقل التعبير المناسب يا ابن «حاييم» ، ومع هذا فانى أسألك : لماذا نكرهم ؟٠ هل قالوا لك ، عندكم ، لماذا ؟ ٠٠

★ لقد خضتم ضدنا ثلاث حروب فى اقل من عشرين سنة و ٠٠

ـ خفنا منكم علينا ..، لتاخذوا ما لا تملكون .. وتستولوا على بلدنا وارضنا وتشردونا من غير ذنب ولا جريرة ؟.. انسيت يا « يوري » ، أننا

---

(13) نفس المصدر ـ ص ص 228 ـ 229 ٠

أويناكم وأدخلناكم بلادنا ، وعاملناكم كفلسطينيين .. وابيتم الا ان تقولوا انكم اسرائيليون ؟..

★ **ان اسرائيل هى أرض ميعادنا ..**

ـ من قال لك ؟. والى أى حق استندتم ؟. أتراك تصدق تلك الاكاذيب الذى يرددها زعماؤكم ؟. اننى لا أريد أن ألقى عليك محاضرة فى التاريخ.. ولكننى أقول لك باختصار أننا ، نحن العرب ، أقمنا فى فلسطين ألفين من السنين ..» (14) .

هى اذن دراما فلسطينية مجسمة فى صوغ فنى ، بقلم كاتب سعودى وقد وقع التركيز على أهم فترة تاريخية امتدت الى عشرين سنة ، بدءا بأحداث ما قبل اقامة دولة اسرائيل وأولى الحروب العربية الاسرائيلية التى اندلعت مباشرة اثر اعلان قيام الكيان الاسرائيلى فى ماى 1948 م واثناء العدوان الثلاثى : اسرائيل ، انقلترا ، فرنسا على مصر سنة 1956 م وأثناء حرب حزيران 1967 م وعدوان اسرائيل على مصر وسورية والاردن ، ثم انتصار الفدائيين الفلسطينيين ووحدات الجيش الاردنى فى معركة الكرامة فى مارس 1968 م .

شخوص قصة **«مشرد بلا خطيئة»** هم : **«ابراهيم»** ، **«أم ابراهيم»** ، **«الحاج ابراهيم»** : رمز الفلسطينى ذى الخبرة والذى ذهب ضحية الواجب فى مواجهات له مبكرة للزحف الصهيونى . و **«نمر»** : رمز المواطن الفدائى وقد كان يمثل أصدقائه الثوار كـ **«سليمان»** و **«بطرس»** جيلا فلسطينيا متوسطا يكافح على جبهتي الحياة : لضمان أسباب العيش ، ورعاية جيل المناضلين الناشىء . وهناك شخوص أخرى تختلف : التاجر اليهودى **«حاييم»** وزوجته وطفلاهما **«يورى»** و **«راشيل»** والذين آوتهم أرض فلسطين ومكنتهم من حياة الرفاهية والهدوء بين الفلسطينيين الاصليين ، لكنهم أساؤوا لمن احسنوا اليهم وانصاعوا للدعاية الصهيونية ، غارسين فى أفئدة أبنائهم كل ضروب الكراهية والحقد تجاه العربى .

«مشرد بلا خطيئة» : قصة طويلة اخبارية ، ذات تقنيات صحفية فنية ، لانها ترسم الحادث المهم فى حياة الفرد أو المجتمع على أساس مواقف المؤلف المعنية ولان الاسلوب الاخبارى اسلوب فنى يبرز مدى تطور الاحداث لفترة

---

(14) نفس المصدر ـ ص‌ص . 302 ـ 303 .

زمنية ما ، ولطبقة اجتماعية ما ، بشكل دقيق ، ولان اسلوب الصحافة الفنية **«تاريخ للعصر»** ،يتناول المؤلف بواسطته مواضيع الساعة ، واهم الاحداث العالمية الحرجة بمعالجات فنية ، شتى ٠

«مشرد بلا خطيئة» : سفر أخبار استوعب شعبا بأكمله ما انفك يقاوم العدو الصهيونى من أجل استرجاع ارضه واقامة فلسطين : دولة مستقلة ٠

هى تقرير ضاف عن مدى واقعية الاحداث الرهيبة التى افضت الى تعميق المأساة وأتاحت للقارىء فرصة التعايش معها من الداخل الفلسطينى ٠

يقحمنا د٠ **محمد عبده يمانى** فى مناخه القصصى من خلال منظورين تاريخيين ، سياسيين : **فلسطين العربية واسرائيل الصهيونية** ، ومن خلال مصيرين هامين : **«ابراهيم» و «يورى»** فى التقائهما وجها لوجه فى دراما هذا القرن ٠

فيمكن اعتبار **«مشرد بلا خطيئة»** نموذجا مبكرا للقصة السياسية المتميزة فى الادب السعودى المعاصر (15) ٠

انها فى الختام قصة مبسطة اللغة وبمهارة فنية عالية ، واقعية فى ثوبها الابداعى ، مع تناسق محكم بين الشكل والمضمون ٠٠ وان لوحظت فى بعض المواطن منها بعض السلبيات على صعيد التحليل السياسى لبعض جوانب القضية الفلسطينية ، بالاضافة الى بعض السلبيات الفنية ايضا ، لكن المهم ان هذه القصة قد كشفت من جديد عن قناع المنافقة الصهيونية التى وصفها قرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بأنها شكل من اشكال العرقية والتميز العرقى ٠ (16)

سرقى روداسيوف

---

(15) **«قضية الثقافة فى بلادنا» لحامد عباس** ، ط٠ 1 ، مكة المكرمة ، 1400 هـ٠ – 1980 م ، ص٠ 118 ٠

(16) الجلسة العامة الـ 10،2400 ، تشرين الثانى (نوفمبر) 1975 ٠

مَاؤكَ مُشتَعِلٌ فِي السَّحابْ

شعر: عبد الرؤوف بوفتيح

الفُصول انتهت من بناء عناصرها ..
وَاحْتَمَتْ بِمَدَارِ الجَسَدْ ..
بِالرِّيَاحِ التِي .. لَمْ تَلِدْ ،
بِالسَّحَابِ الذي لم يَزَلْ طعمهُ
عَالِقًا فِي الزَّبدْ ..
وَبِعَاصِفَةٍ ،
فَرْعُهَا فِي المَدَى
أصلها فِي الكَبِدْ ..
....
الفُصُول انْتَهَتْ مِنْ بِنَاءِ
كِيَانِ الطبيعَةِ ..
وَانْهَمَكَتْ فِي بِنَائِي ..
وَكلّ الذين تَهَشّمْتُ في حبهم
سَألُونِي :
عن الوَجْهِ كيفَ تَلَوّنَ
عَنْ دَهْشَتِي .. ؟
عَنْ عُيُونِي التِي خبأتْ فرحَتِي ؟
عَنْ شَذَايْ .. ؟
وَسُؤالِي القَدِيم ..
– قُلْ لهمْ :
إنّهَا لا تُجِيبْ
إنّها ..
مَرْفأٌ لا يَلُمّ سِوَايْ ..
– قُلْ لَهُمْ :
كيف رَممتَ جُرْحا بدَمْ ،
هَلْ كبُرْتَ بِذَاكَ الألمْ ..
سَاطِعا ،
كنْتَ في ظلمَةِ الصّمْتِ
تَرْسُمُ دَرْبا جَدِيدًا ،
وَتَفتحُ للقَلْبِ .. سِرّا بَعِيدًا
....
كنْتَ تُدْرِكُ في غَفْلَةِ الصحو ،

أنّ الطفولةَ : مجمرةٌ
دفؤُها كاذبٌ ،
والدخانُ المؤقتُ مئذنةٌ للغيابْ
كنتَ تعرفُ
أنّ الطفولةَ منْ ورقٍ
لعبةٌ تمتطينا جميعا ،
إذا شارفَ العشقُ فينا نواحي
الذهولْ
كنتَ تحلمُ وقتَ الطفولةِ ..
مازلتَ تحلمُ آنَ الجنونِ
بمملكةٍ منْ ظلال ونورٍ
وطيرٍ تجمّرَ بردَ الغصونْ
وعشبٍ تعدّى النفوذَ وحدَّ
الفصولْ ..
وورْدٍ يلازمُ دهشتَهُ ..
ماسكا كلّ ذي خجلٍ .. لونه ..
....
(.. كان حلْما تجمهرَ في ليلة
دافئةْ ..
وتداعى..)
الفصولُ ،
أنستُ لغربتِها ،
المنافي المحاطةُ بي
لا تفِي بالعذابْ

الوُجوهُ .. لهَا حزبُهَا
....
....
....
إنّني ههنَا
جثّتي ملؤُهَا التعبُ ..
أُغنياتي التي أسّستْ في دمي
شرْفةً للعتابْ ،
ذكرياتي لفيفٌ منَ الموتِ ..
داهمَني
....
كلّ صوتٍ
أرَى في الصّدَى .. سيفَهُ
كلّ وجْهٍ يطلّ عليَّ ..
أرَى خوفَهُ
(والحقيقةُ منْ معدنٍ
ومفاتيحُهَا في يدِي ..)
....
جثّتي ملؤُهَا التعبُ ..
زهرَةُ الشوْقِ ريّانةٌ بالظمأ ..
والحبيبةُ في أوْج شهْوتِهَا ..
ناولتْني قليلاً منَ الدفْء ..
والقبُلاتْ ،

– مرّةً : حينَ جمَعَنَا شاطىءٌ
(منذُ صيفٍ ونَيِّفْ)
وكانَ المَسَاءُ يُغَادِرُ قُبّتَهُ في
ارْتِخَاء ..
وكانَتْ ،
بَوَادِرُ حَيْض على الشّمْس فاخرة
فاغتَنَمتُ تَقَاوِيمَهَا ..
وَدَخَلْتُ إلى صَدْرِهَا ..
بِعيُوني ..
جَسَدٌ غَارِقٌ في النَّبِيذْ
وَالحَبِيبَةُ في أوْج شَهْوَتِهَا
– مَرّةً سَألَتْ :
كيْفَ تَمْحُو الخُطى مَوْجَةٌ ،
في مَهَبِّ اللّظى .. هَارِبَهْ
– قُلْتُ مُرْتَجِفا :
– إنّهَا عَاشِقَهْ ..
فَسَكَنّا معا – مِثْلَهَا –
في إنَاءِ المَوَاجِعِ ..
مُلْتَحِفَيْنِ بِعَصْفِ القُبَلْ ...
....
جُثّتِي مِلْؤُهَا التّعَبُ ..
وَالطفُولَةُ مجْمَرَةٌ ،
دِفْؤُهَا الكَذِبُ ..
وَالدّخَانُ على وَجْهِ أمّيَ أقَامَ
سِنينا ..
أرَاهَا تُهَدّمُنِي ،
تَبْتَنِينِي .. تُهَدّمُنِي ،
وَتُعِيدُ بِنَائِي ..
وَلَكنّهَا صُورَتِي دَائِما نَفْسُهَا
جُثّتِي – نَفْسُهَا –
جُثّتِي مِلؤُهَا التّعَبُ ...
وَالطفُولَةُ مِنْ وَرَقٍ ..
لُعْبَةٌ تَمْتَطِينَا جَمِيعا
إذا شَارَفَ العِشْقَ فِينَا نَوَاحِيَ الوَطنْ ..
وَطَنِي وَاحِدٌ ..
....
....
....
لمَاذَا أُعَشّبُ فِي سَاعَةِ البوح ؟
رَمْلَ خُطَاكْ
وَمَاؤُكَ مشتعل في السّحابْ ..
لماذا أعُدّ فصولك .. يا طفلَ أمّي
وكل الفصول انتهت من بناء عناصرها
هكذا ...
في الخرابْ ...

« محمد مزالى والنظرية التفاعلية »

للاستاذ محمد الأمين خلفة
عرض : محسن بن حميده

من المعلوم أن الاستاذ محمد مزالى مع ما كانت لمجلته « الفكر » من أياد بيضاء على الادب والثقافة فى تونس والمغرب العربى خاصة وفى الوطن العربى عامة – انتصب فى الساحة كمفكر ملتزم تغلب عنده النزعة الفلسفية على الجانب الادبى ومرجع ذلك الى تكوينه الفلسفى الجامعى وقد مر بكل أطوار الفلسفة من إفلاطون الى باشلار فتشبع بأعمق النظريات دون أن ينقاد الى احداها بالخصوص فوعاها جميعها ولم يكرع منها الا ما اقتنع وآمن به من « سبر أغوار النفس واستكناه منزلة البشر وقدرتهم على الفعل والخلق وروعة الانسان من أجل السيطرة على نفسه والرفع من منزلته وصراعه الدائم فى سبيل حياة أفضل ... » .

وهكذا تبدو نظرية محمد مزالى كتعامل متين خلاق بين الفكر الفلسفى الحق والواقع المعيش وهو ما يسميه « بالنظرية التفاعلية » الاستاذ محمد الامين خلفه صاحب كتيب « محمد مزالى والنظرية التفاعلية » الصادر أخيرا فى مارس 1984 عن الدار التونسية للنشر والذى يحاول فيه الكاتب استنتاج فلسفة محمد مزالى وعرضها فى وضوح اعتمادا على آثاره الفكرية ومواقفه السياسية وانجازاته العملية مبينا أن ليس هنالك جدلية بين العقل والواقع بل تفاعلية بين الذات والواقع .

ويحلو لنا نحن أن نعرف تفكير محمد مزالى بالفلسفة العملية إذ أنها خلافا للنزعة النظرية الثابتة تعتمد أساسا على الظاهرة التطبيقية الدائبة الحركية

تبعا للواقع الظرفي المتطور على الدوام شأن الحياة نفسهـا ضمـن المسيـرة التاريخية للبشرية عن طريق الفعل والخلق مع الاحتفاظ بالاصالة والتعلـق بالقيم الدينية السامية الخالدة التى لا مندوحة عنها للسعى الدائم الى تغليب الخير على الشر والحق على الباطل والجمال على القبح والحرية على العبودية فى سبيل تحقيق الأفضل خدمة للآخرين .

~~[illegible] محمد مزالي فى مسيرته الفكرية نعلم يقينا أن تـوليه~~ كان دائما ولا يزال حديث الفعل وأن نظرته الى المستقبل البشرى كانت دائما ولا تزال تفاؤلية ترفض المستحيل وأنه كان ولا يزال شديد الاعتزاز بمنجم الفكر العربى الثري الذى يجب عليه ولن يصعب على خصوبته أن تقـوم من ـديد ـ على شاسع البون بينه وبين مشارف العلم المعاصر ـ بالدور الهام وحتى الرائد فى دعم الحضارة الانسانية غير « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وهكذ تبدو شخصية المفكر الكبير والفيلسوف الانسان محمد مزالى بفضل تكوينه الفلسفى وتتلمذه للطريقة البورقيبية وممارسته للفعل .

محسـن بن حميـده

حديث الفعل في الصحافة الوطنية والعالمية

جاء كتاب « حديث الفعل » للاستاذ محمـد مـزالى ، الذى أصدرته دار « بيبليسر » الباريسية باللغة الفرنسية ، فى أوانه ، ومع ذلك بدا وكأنـه خطاف فى عز الشتاء .. أو ثلج فى عز الصيف ... فاهتمت به وسائل الاعلام المحلية والعربية والعالمية ، وتناولت مضامينه بالنقل والتحليل ... معتبـرة إياه ظاهرة أدبية وسياسية بارزة ومثيرة فهو تأليف لم يقرأ عنوانه ، بـل قرئ أولا من اسم واضعه ، وإن كان العنوان والمضمون يستحقان مثل هـذه العناية أيضا .

ما هى أسباب ومبررات هذه الضجة الاعلامية ؟

كل وسائل الاعلام استندت فى تغطيتها للحدث الى جملـة من المعطيـات نلحصها على النحو التالى :

- المؤلف مفكر له وزنه فى زمن قل فيه عمالقة لابداع .
- وهو سياسى محنك ... يعتبر سندا قويا ومصدرا موثوقا به .
- أفكاره تسبح فى فلك الانسانية المطلقة .

ـ مواقفه الوطنية والانتمائية والحضارية ، واضحة وقوية وجريئة .
ـ تاريخه الشخصي مرتبط جدليا بتاريخ الزعيم الحبيب بورقيبة وبالتالي بتاريخ تونس الحديثة
ـ مساهمته الفعالة في تأكيد المسار الديمقراطي بتونس .
ـ تدربه التدريجي الثابت على تحمل المسؤوليات .
ـ ظهور الكاتب في فترة دقيقة من تاريخ تونس والعالم .

كل هذه العوامل كانت وراء اهتمام بلاطات صاحبة الجلالة « بحديث الفضل » ، منها من فاز بسبق نشر فصول مطولة منه (1) ... ومنها من استعرض بأسوب صحفي أهم ما ورد فيه ... **ومنها أيضا من تناول الكتاب بالتقييم والتحليل .**

الاختيار الموفق

فيما يخص أسباب إصدار الكتاب يفسرها « بول بالتا » بجريدة «لوموند» (2) بقوله : «اختارت «كزافيار أوليس» اجراء حديث **مع السيد محمد مزالي .. فكان الاختيار موفقا ... لان محمد مزالي** سبق له ان **احتل مناصب عدة قبل أن يصبح وزيرا أول ... ثم بالرغم من أعباء المسؤولية فقد بقي رجل ثقافة » .**

زمن الدفاع عن الهوية

ومحمد مزالي مناضل عاش أدق فترات تاريخ تونس المعاصر ... وساهم بفعالية في تطبيق بنود خطة الجهاد البورقيبي ... كتب عزيز محجوب بمجلة « جون أفريك » (3) شهادة مثيرة « ... يبقى محمد مزالي في نظر تلاميذه القدامى بالصادقية ، أستاذ الفلسفة ، ذلك الذي ساعدنا على اكتشاف هويتنا القومية وانتمائنا الى الثقافة العربية الاسلامية ، والى هذه الامة التي يرزح معظمها تحت نير الاستعمار » ويضيف : « كنا سعداء برؤيته قادما الى الصادقية كل يوم اثنين على متن سيارته السيمكا البرتقالية القديمة ، المحدودبة قليلا نتيجة قطعها كل يوم أحد المسالك الحجرية ، حاملة الاخبار

---

(1) لوبوان الفرنسية 1984/3/19 .
ديالوغ التونسية 1984/3/19 .
لابراس التونسية (نشرت الكتاب على حلقات) .
(2) لوموند 1984/3/20 .
(3) جون افريك 1984/3/28 .

السيارة لهذه الشعبة الحزبية الضائعة وسط الريف ، أو تلك المنظمة النقابية » .. ويؤكد ـ د ـ ل ـ بجريدة « لى كوتيديان دى بارى » (4) هذه الحقيقة فيقول : « يندمج الجهاد من أجل الاستقلال عند (مزالى) الطالب ، ثم المدرس الشاب ، مع المعركة من أجل الهوية الثقافية ورد الاعتبار للثقافة العربية ولغتها المجيدة » .

السياسي الحكيم

ويبقى محمد مزالى مثال السياسى الحكيم الذى غرف من نبع البورقيبية حتى ارتوى ، والمساهم بجد واخلاص فى رسم ملامح تونس الحديثة ، تونس النظام والديمقراطية والخير والاستقرار ، كتب عزيز محجوب بمجلة « جون افريك » (5) : « يجب أن نسجل لمحمد مزالى مساهمته الفعالة فى صنع القرار التاريخى الذى اتخذه بورقيبة يوم 19 نوفمبر 1983 والقاضى بالبعث الشرعى لحزبين من المعارضة (حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، وحركة الوحدة الشعبية) ، اضافة الى الحزب الشيوعى المعترف به رسميا من قبل » ... وتعدد « آن موراتورى فيليب » من جهتها بجريدة « لى فيغارو » الفرنسية (6) الانجازات الكبرى التى عرفتها تونس وساهم فى ظهورها محمد مزالى : « على امتداد مناصبه الحكومية المتعددة ترتسم رؤية تونس الجديدة ، تحرير المرأة ، السياسة الثقافية ، ظهور التلفزة ، معركة بنزرت ، تحديد الولادات ، الهجرة.

أما « جوزات عليا » فقد أكدت فى مقال نشرته مجلة « لى نوفال ابسرفاتور » (7) أن : « محمد مزالى قد فعل كل ما فى وسعه لتمرير الديمقراطية والتعددية تدريجيا فى تونس » وأضافت : « وان كانت تونس اليوم قد غدت أكثر البلدان حرية فى العالم الثالث (اعتبارا لوضعية المرأة ، والنقابات والاحزاب السياسية) فالفضل فى ذلك يعود لبورقيبة ولمزالى أيضا » ... وأشارت جريدة فرانس سوار الفرنسية (8) الى هذا الجانب الهام من شخصية محمد مزالى فكتبت تقول : « دوما ما تكون خلافة العمالقة محفوفة

---

(4) لى كوتيديان دى بارى 1894/3/23 .
(5) جون فريك 1984/3/28 .
(6) لى فيغارو 1984/3/18،17 .
(7) لى نوفال ابسرفاتور 1984/3/23 .
(8) فرانس سوار 1984/4/3 .

بالمخاطر ، لكن محمد مزالى خليفة الحبيب بورقيبة الوفي يمتاز الى جانب هيبته اللدنية وثلاثين سنة من التجربة فى خدمة الدولة ، بمؤهل حاسم » .

مـــزالــى الانســــان

ومن خلال « حديث الفعل » برزت شخصية محمد مزالى الانسان المتوازن ، المحب للخير ، الصادق ، النزيه والجدى ، ورد بمجلة « كل العرب » الصادرة بباريس (9) « الكتاب والمثقفون كانوا ينتظرونه فى لقاء حي ومباشر فوجدوا فيه المحاور الواثق مما يقول لانه الواثق بما يفعل أصلا » ... كما أدرجـت مجلة « ديالوغ » التونسية (I0) عند تقديمها لفصول مطـولة من « حـديث الفعل » قولا جاء فيه بالخصوص : « شاهد عيان وعنصر ذو امتياز فى أحداث بلده ، وزمانه والعالم ، مفكر ورجل سياسة وكاتب ورجل عمـل ، عميـق التجذر فى هويته القومية وانتمائه للمجال الثقافى العربى الاسلامى ، ولكنه متفتح بفضل مرسى المتوسط وافريقيا ... » .

خصـــائـص المبـــدع النـــزيــه

وعند تقييمها لاسلوب كتاب « حديث الفعل » تعرضت وسائل الاعلام الى محمد مزالى المبدع ... فكتبت جريدة « فرانس سوار » (II) تقول : « يقرأ هذا التأليف دفعة واحدة ، كرواية معبرة وصادقة ، لا تخلو من تفكير وخفة روح ولهجة رقيقة » ... أما « بول بالتا » فيقول بجريدة « لومونـد » (I2) : « هذا الكاتب التونسى الذى نشر ستة كتب باللغة العربية يقدم لنا هنا ، سيرة ذاتية مكتوبة بلغة فرنسية جميلة ، صافية ، متينة ، ومنتقاة ، متخلية عن الكليشيهات والرطانة التقنقراطية التى عـادة مـا يلجأ اليهـا رجـال السياسة » ... وعلقت جريدة « لاكسيون » (I3) على الكتاب ... بقولهـا : « كتاب ثري مثر ، وعلى طول صفحاته يأخذنا شعور قوي بالحقيقـة والجمـال والجلال » ... واكتفى م. حلمي فى جريدة « الاعلان » (I4) بقول عميق تعليقا على « حديث الفعل » : « رواية كتبت بجدية سياسى فيلسوف كبير » .

مصطفى عطيه

---

(9) كل العرب 1984/3/28 .
(I0) ديالوغ 1984/3/I9 .
(II) فرانس سوار 1984/4/3 .
(I2) لوموند 1984/3/20 .
(I3) لاكسيون 1984/3/20 .
(I4) الاعلان 1984/4/20 .



• الشرود والمسيرة :

صدر باللغة الفرنسية لجاك مادلان فى سلسلة « المكتبة العربية » من منشورات « سندباد » بباريس كتاب « الشرود والمسيرة » وهو قراءة خاصة فى الرواية المغربية (بالخصوص الجزائرية والمغربية) باللغة الفرنسية .

والقراءة الخاصة لا مفر لها من الحكم الفردى والموقف الانحيازى الذى وإن حاول الموضوعية أحيانا لا بد أن تبدو عليه النظرة الانفعالية الوراثية المسبقة فى الاختيار والعرض التصويرى .

والكاتب نفسه يعترف صراحة فى كلمة الاستهلال بأن نصه منحاز والحق أنه لا مناص لكاتب أو دارس غربى من هذا الانحياز للصعوبة والاستحالة أحيانا اللتين تعترضانه فى فهم المغربى (والمقصود هنا شمال الافريقى) الناطق والكاتب قهرا باللغة الفرنسية والمسكون حيرة أو قلقا أو ضيقا أو ذبذبة والمتأرجح بين واقع يشعر بأنه يعيشه من الخارج وأنه غريب عنه وحقيقة تسرى فيه دما ورحيقا لا مرد لجذورها العميقة فى الكيان والزمان والمصلوب أو المذبوح أو المبتور الحان دائما الى تلك الارض الأم (واللغة لا تنفصل عن الارض) التى لا يمكن أن يقطع علاقته بأرحامها الدافئة والتى يألم وينحسر لحرمانه منها ويبقى دائما متعلقا بحضنها لا يمكنه أن يشبع منها جوعه ولا أن يروى منها ظمأه اللهم الا من وراء الموت فى السماء عندما تنفتح له أيادى رحمة الله .

• ديوان سلامة بن جندل :

من منشورات « سندباد » بباريس باللغة الفرنسية صدرت بتاريخ 1983 الترجمة الفرنسية لمجموعة أشعار الشاعر الجاهلي سلامة بن جندل التى نقلها الى اللغة الفرنسية المستشرق كيمان هويار وتولى نشرها بيار برنار .

ومن المعلوم أن سلامة بن جندل من الشعراء المقلين فلم يجمع لـه الـرواة سوى تسع قطع شعرية لا يمكن اعتبار غير ثلاث منها قصائد بالمعنى المتعارف الاولى (20 بيتا) فى الفخر والفرس والثانية (35 بيتا) والثالثة (40 بيتا) فى الغزل والغزو والقتال هذا مع أن الرابعة يمكن بشىء من التسامح تسميتها قصيدة من أجل الموضوع فقط اذ أنها لا تتجاوز 15 بيتا .

أما البقية فأشعار متفرقة مختلفة المقاصد والمآرب تتراوح أعداد أبياتها ما بين البيتين والاربعة أبيات .

الطبعة موفقة بصورة عامة نقلا وشرحا وتحقيقا ومحترمة عرضا وشكلا .

• المعجم الطبى الموحد :

صدرت بسويسرا سنة 1983 طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة « للمعجـم الطبى الموحد » ومن المعلوم ان الطبعة الاولى كانت قد صدرت ببغداد سنة 1973 ثمرة لعمل طويل قامت به لجنة خـاصة من أساتـذة الطـب فى الـوطن العـربى (لبنان ـ سورية ـ العراق ـ تونس ـ مصر ـ الجزائر والمغرب) وأعيد طبعها بالاوفسات بالقاهرة سنة 1977 ثم صدرت الطبعة الثانية منقحـة بالمـوصل سنة 1978 .

والطبعة الثالثة التى بين أيدينا والمزيدة والمنقحة تتألف من قسمين : قسم عربى ـ إنقليزى فى 100 صفحة وقسم إنقليـزى ـ عـربى ـ فـرنسى فى 760 صفحـة .

• الاسطرلاب :

صدر العدد الاول من هذه المجلة الجـديدة « للنـادى العـالمى للرحـالة » ومؤسسها ومؤسس النادى ورئيسه رشاد تريمش الرحالة التونسى الشاب

المعروف والرئيس الشرفى للنادى هو الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول والمفكر والسياسى صاحب الايادى البيضاء على الحركة الفكرية التونسية فى شتى ألوانها بفضل مساهمته فيها وبفضل مجلته « الفكر » المنبر الواسع الشامل المتفتح دائما لكل القرائح والاتجاهات والطموحات الاصيلة .

وتقديم هذا العدد الاول من مجة « أسطرلاب » (Astrolabə) – الصادرة باللغة الفرنسية بتاريخ 17 مارس 1984 – من قلم الاستاذ البشير بن سلامه رئيس تحرير مجلة « الفكر » ووزير الشؤون الثقافية فى كلمة طيبة موجزة تبرز الدور الرائد للعرب فى الرحلة سواء كان القصد منها التجارة أو الاطلاع والتدوين وطب العلوم الدينية والدنيوية .

ولا شك فى أن الجسر الذى يقيمه « النادى العالمى للرحالة » – من أجل التعارف والتفاهم والتوادد والتحابب بين كل البشر فى تونس أرض اللقاء والمودة والسلام – لتدعمه دون شك مجلة « أسطرلاب » فنرحب بها ونتمنى لها النمو المطرد والامتاع المتواصل والعمر الطويل .

• وأجهش بالغضب :

ديوان شعر للصادق شرف يتكون منه العدد 37 من « الأخلاء » ودواوين **الصادق شرف** عديدة فهو الشاعر والكاتب الخصب ذو القلم السيال المنهمر **الجوال فى عديد** المواضيع والمناحى المتسلح بالشجاعة والاقدام **والاصرار** والمتحاكم فقط الى أذواق القراء فيما يخص انتاجه الخاص وكل ما تفرزه « الأخلاء » من انتاج الشباب فى شتى فنون الادب ومن انشاء مجموعة شابة قائمة على تعدد الاصوات والاختيارات والاختبارات دون تحيز فى الانتاج الادبى لنوع خاص أو لاتجاه خاص .

وكما أشاد به الاخ صالح الجابرى فى كلمة التقديم « لعل الفضل فى كل هذا **يعود الى إصرار وعناد الصادق شرف** الذى تحيط به مثبطات عديدة الا أنه بتصميمه الجرىء وحبه للمغامرة (وأية مغامرة تلك التى تتصل بالمطالعة والنشر !) يحاول تجاوز كل ذلك لفرض ما يشاء فرضه على الوسط الادبى وليس ذلك بالامر الهين فى وسط يزخر بالمعوقات والاحباط والازدراء » والتفنيد والتآكل .

وعلى كل فمرحى للصادق شرف والى الامام يا « أخلاء » فلا بد أن يتواصل الطموح النظيف وتثبت الغرسة الطيبة .

أصداء الفكر

● ثروة الثقافة وثقافة « الثروة » !

فى جريدة الرأى العام الكويتية وفى الركن الذى دأب صديقنا الكاتب الملهم الاستاذ عبد الله الشيتي اصداره والذى يعبر فيه فى كل مرة ببلاغة عن خاطرة أو فكرة فى ركن « فنجان قهوة » قرأنا فى العدد الصادر فى غرة ماى 1984 مقالا بعنوان : « ثروة الثقافة وثقافة الثورة » **جاء فيه ما يلى :**

« ◆ أذكر ذات سنة ، وكنت برفقة عميد الدار الاستاذ المساعيد ، ان الاستاذ محمد مزالى رئيس وزراء تونس ، تحدث الى العميد ، فى جملة ما تبادلا من أحاديث وأفكار ، عن أهمية الثقافة ، فى حياة المجتمعات والافراد ، وانها « المدماك » الحقيقى لكل حضارة وكل عطاء وتواصل مع أقطار العالم ، وان الانسان العربى حيثما كان لا بد ان تتاح له منذ طفولته ، ونشأته فرص فهم الحياة « وهضمها » والتفاعل معها ومع العالم من حوله وأمامه ..

وبعد ذلك اللقاء بعام أو أقل ، كنت أزور تونس فى مهمة صحفية ، وقد دعانى وزير الاعلام يومئذ ، لحضور جلسة مجلس الامة هناك ، وكانت مخصصة على ما أذكر ، لسماع ومناقشة « البيان الحكومى » لميزانية الدولة وبرامجها واطاراتها التنموية ، وقد ألقاه الاستاذ مزالى معترفا فى سياق البيان ، بنواحى العجز فى الميزانية ، لهذا السبب أو ذاك ، ومعتمدا أسلوب الشواهد والارقام ، ومؤكدا بصورة استلفتتنى على أهمية دور « التنمية الثقافية » ، وهو مصطلح تفرد به السيد مزالى ، بحيث ركزت من جانبى على هذا النوع من « التنمية » ، أساس كل حضارة ونضارة وتحديث اجتماعى ، فى المقابلة الاذاعية التى أجراها معي يومئذ الاذاعى التونسى المعروف صالح جغام ، فى الفترة الصباحية ، وكم سرنى ، حين فوجئت خلال مقابلتى مع

« الوزير الاول » قوله لي : لقد استمعت اليك ، هذا الصباح ، وأنا قادم الى مكتبي هنا ، وأعجبت لسياسة التنمية الثقافية التي هي في أولويات *اهتماماتنا ومخططاتنا* .

وكانت لفتة كريمة منه ، انه اهداني بعض مؤلفاته الفكرية والسياسية والثقافية المتميزة ، وبعد أسابيع قليلة ، من متابعتي « لخطه البياني » فكرا وثقافة،سمعه أصدقاء لي هناك،في احدى خطبه الجماهيرية يأتي على ذكر اثارتي لموضوع التنمية الثقافية ، في معرض الامانة الصحفية ، التي خص بها صحيفة « الرأى العام » من حيث ان « موفدها » جسد حقيقة الاهداف التي تسعى اليها تونس ،وتأمل تحقيقها بالجهد والصبر ومواجهة التحديات ، وأشاد بذلك النوع من الصحافيين على « رسالتهم » ومهماتهم التي يوفدون في سبيلها لا يبتغون جزاء ولا شكورا ، سوى اشاعة الحق ، في ما يسمعون وما يرون ، ونقل الحقيقة لقرائهم مجردة نقية من كل شائبة ..

★ ★ ★

◆ تذكرت ذلك كله ، وقد وصلني قبل أيام عدد جديد من مجلة « الفكر » التي ما زالت تحمل اسم الاستاذ مزالي ووزير « الثقافة » الاستاذ البشير بن سلامه ، وعلى الصفحة 12 أفكار معبرة ، وجريئة للوزير الاول ، امتدادا لحديثه مع عميد الدار ، قبل سنوات حيث هو يتحدث عن الادمغة العربية المهاجرة وانني لا تجد فرصتها الا بعيدا عن أوطانها لظروف قاهرة أو قاسية .. ويقول بالحرف الواحد :

— إن الشخص في العالم العربي ، يذبل كما تذبل الشجرة المحرومة من الاوكسجان أو الماء ، حتى اذا « فر » بحريته وكرامته ، وهاجر واستوعبته جامعات اجنبية ـ انتعش وانكب على البحث وبنشاط ضمن فريق في الكيمياء أو الطب أو مجال العلوم الانسانية ، وتألق نجمه فأصبح من المبدعين اللامعين ..!

◆ لماذا ؟ يتساءل الوزير الاول بمرارة ..

ويجيب : لانه في « مهجره » أو .. منفاه ، توفرت له أسباب الراحة النفسية ، والكرامة والحرية ..

تلك هي المسألة يا أستاذ مزالي ! » .

● مزالى ... الاهرام ... وحوار الحضارات :

« ماذا نصنع أولا من أجل الحوار الثقافى العربى ؟ سواء على صعيد الاقطار العربية ، أو على صعيد المشرق والمغرب ؟ وكيف تحقق مفهوم « الوحدة والتنوع » فى واقع الثقافة العربية ؟ ومتى تخف القيود التى تحول دون تداول الكتاب العربى فى الاقطار العربية ، حتى يتسنى لقراء كل قطر ان يتعرفوا على نتاج الاقطار الاخرى ؟ » المفكر المصرى الكبير الدكتور عبد العزيز شرف ... الذى قال عنه الدكتور خفاجي : « هو معجزة بل قل انه مفخرة فى جيلنا المعاصر » اعترف فى مقال نشره بجريدة « الاهرام » القاهرية فى الثانى والعشرين من شهر أفريل 1984 بأن كل هذه التساؤلات قد ألحت عليه وهو فى طريقه الى تونس .. ثم يوضح بقوله : « هذه التساؤلات جميعا عشت معها فى كتابات ومواقف المفكر التونسى الكبير الاستاذ محمد مزالى، الوزير الاول، والرئيس المؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين ولمجلة « الفكر » التى تصدر بتونس شهريا ويرأس تحريرها الاديب الكبير الاستاذ البشير بن سلامه ، والتى قامت بدورها فى تحقيق الوحدة الثقافية على مدى ثلاثين عاما تقريبا مواصلة بذلك دور « الرسالة » و « الثقافة » و « السياسة الاسبوعيه » وغيرها من الصحف الادبية التى كانت تتخطى الحواجز الاقليمية لتشارك فى صنع « وحدة » ثقافية عربية حقيقية ، وأذكر على سبيل المثال مجلة « أبولو » التى أشاعت تيارا رومانسيا عربيا فى الاقطار العربية ، على نحو ما نجد عند شعرائنا فى مصر أو فى البلاد العربية مثل : أبى القاسم الشابى (تونس) ، النيجانى يوسف بشير (السودان) ، محمد حسن عواد (المملكة العربية السعودية) وغيرهم ... » ويضيف الدكتور شرف قائلا : « وحينما يدعو مزالى الى تحقيق مفهوم الوحدة والتنوع فى الادب العربى المعاصر اذن ، فانما يدعو اليه من منطلق رؤية عربية حضارية ، جعلته يحتفي بكتاب جارودى « حوار الحضارات » ابان صدوره سنة 1977 ويذهب الاستاذ محمد مزالى كذلك الى ان الوحدة العربية تقتضى ان نعمل جميعا على تجاوز مرحلة التقليد والاستهلاك الى مرحلة الابتكار والانتاج ، فالامة العربية التى انجبت ابن رشد وابن سينا وابن خلدون والخوارزمى وابن الهيثم وابن الجزار الذين أخذوا وأعطوا أكثر مما أخذوا ، واثبتت قدراتها على انجاب العبقريات ، فمن الاصالة الانطلاق الى غزو المستقبل من ماضينا الحافل بالامجاد والامكانات وذلك بالتعامل مع الواقع الذى يحيط بنا تأثرا وتأثيرا وفى صيغة استنتاج لمجمل الافكار الواردة بمقالته يقول الدكتور عبد العزيز شرف : « وهكذا يطرح الاستاذ محمد مزالى قضية الوحدة الثقافية العربية وما ينبغى أن نصنعه

كعرب من أجل تحقيق التواصل الحضارى الحق » بين كافة شعوب الوطن العربى الكبير ، لا متفائلين بمستقبل أمتنا فحسب ، ولكن مؤمنين كذلك بوحدة المصير وانتسابنا الحميم الى حضارة عربية واحدة كريمة المعدن ، اسلامية الجوهر ، عربية اللسان ، انسانية الاتجاه والغاية .

● مزالى : مفكر الحضارة العربية المعاصرة :

نشرت جريدة « العمل » يوم السبت 28 أفريل 1984 حديثا أجراه مندوبها مع المفكر المصرى الدكتور عبد العزيز شرف ... تعرض فيه الى العديد من القضايا التى تشغل بال المتواجدين على ساحة الفكر فى المجتمع العربى ٠٠ كترويج الكتاب فى الوطن الكبير ... والتفسير الاعلامى للادب ... ووظيفة القمر الصناعى العربى ... والدور الطلائعى الذى تقوم به رابطة الادب الحديث بالقاهرة . واجابة عن سؤال يتعلق باشتراكه فى تأليف كتاب عن الاستاذ محمد مزالى أكد الدكتور عبد العزيز شرف : « ان الدافع لتأليف الكتاب واصداره هو الايمان بمفهوم الوحدة والتنوع فى مفهوم الادب العربى وتحقيق مفهوم مجسد للتحاور بين المشرق العربى ومغربه . ولى فى هذا الصدد محاولات تأليفية سابقة ، ففى سنة 1970 حصلت على الجائزة الاولى من مجمع اللغة العربى فى أدب المغرب العربى واصدرت كتابا بعنوان « المقاومة فى الادب الجزائرى » والآن وبالاشتراك مع آخرين نعد موسوعة لأدب منطقة المغرب العربى وقد كتب الدكتور خفاجى جزءا عن الادب فى ليبيا وآخر عن الادب فى الجزائر واشتركت مع الاستاذ رشيد الذوادى فى كتابة جزئين عن الادب التونسى وآخر عن المغرب . ذلك انى بحكم اتصالى بالمثقفين فى مصر أشعر بتعطشهم الى قراءة أدب المنطقة المغربية والتعرف عليه عن قرب من أجل هذا كان اشتراكى فى تأليف كتاب عن الاستاذ محمد مزالى حتى يحقق هذا المفهوم نجاحه . ومن ناحية أخرى فانى اعتقد ان الاستاذ محمد مزالى هو الوجه الفكرى المشرف للحضارة العربية المعاصرة والذى استطاع بفكره أن يصنع لنا جسورا قوية فى المواجهة الفكرية بين الشرق والغرب أو بين ما يسميه هو حوار الحضارات ، وفى تقديرى ان هذه هى القضية الحضارية التى تمثل التحدى المعاصر للعرب . من أجل هذا أقول وبدون مبالغة : إن الاستاذ محمد مزالى هو مفكر الحضارة العربية المعاصرة الذى يعبر عن خصائصها العريقة فى مواجهة تحديات اليوم والغد .

● كلمة تلقائية وتحية إكبار :

نشرت جريدة « العمل » بعددها الصادر يوم الثلاثاء 8 ماى 1984 ... نصا ... كتبه السيد المختار الحشيشة من صفاقس تحت عنوان « تحية

إكبـار » تعرض فيه لما يختلج فى نفســه ونفـوس الاغلبيـة السـاحقة من التونسيين ، من اعتراف بالجميل لباعث هذه الامة واعضاده المخلصين ... مبرزا الخطوات التى قطعتها تونس فى جميع الميادين بوحي من قائد الجهادين وتدبير ومتابعة من ابنه الوفي السيد محمد مزالى ... داعيا أبناء الـوطن الى المساهمة الفعالة فى مسيرة التقدم ... يقـول صـاحب المقـال بالخصوص : « هذا الابن العبقري الوفي الصادق الامين وهذا الرجل الذى هو كأبيه نسخة من هذا الشعب فى منبته ونشأته وتكوينه وفى احساسه وتفكيره الذى شغف بحب تونس وأمنها من خلال آيات التضحية والاخلاص التى قدمها طيلة نصف قرن ولا يزال يقدمها وهو فى هذه السن قائد جهادنا الاصغر والاكبر بل قائد المجاهدين فى هذ العصر وعميدهم على الاطلاق ، رئيسنا الجليل أطال الله فى عمره وأمد فى أنفاسه». ويضيف : «الاستاذ محمد مزالى : هذا الانسان الوطنى الغيور مثال النظافة والاستقامة والتضحية والصدق والاخـلاص الذى كان الجميع فى تونس ينتظرونه لا بد لنا من الوقـوف جميعـا صفوفـا متـراصة مستقيمة معه وحوله والى جانبه اذا كنا حقا نريد لتونس دوام الحرية واذا كنا حقا نبتغى لها ولنا المضي فى تعزيز مسيرتها البورقيبية الاولى فى كنف وحدة قومية صماء ليس لنا من دونها اى مسلك لتحقيق الرقي والمناعة والازدهـار وتجسيم العدالة الاجتماعية المنشودة التى لا بد لنا جميعا ان نضحي بالنفس والنفيس من أجل تعبيد الطريق اليها على غرار من ساقنا بالايمان الى ذلك من أجلنا ومن أجل ابنائنا واحفادنا جزاهم الله ألف نعمة وخيـر عن جهـادهم الصادق الشريف وحبا الله الاحياء منهم الصحة والعافية وطول العمر حتى يواصلوا تحمل اعباء هذه الامانة الثقيلة التى تنوء بحملها الجبال .

وعلى مثل هذا الدرب من النضال الخالد نحيا ونموت »

● الاجتماع الاستشارى للخبراء العرب فى شؤون الكتاب :

انعقد الاجتماع الاستشارى للخبراء العـرب فى شـؤون الكتـاب بنـزل البلفيدار بتونس فى السابع والعشرين من شهر افريل 1984 . وامتد حتى الثلاثين منه . وتولى السيد البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية افتتـاح أشغاله مؤكدا على الدور الحيوى لانتاج الكتاب فى عملية التنمية الشـاملة . واستعرض سبل تحقيق هـذا الهـدف .. والخطـوات التى قطعتهـا الحكـومة التونسية لادماج صناعة الكتاب فى الدورة الاقتصادية للبـلاد ... واختتـم السيد أديب اللجمي ممثل المدير العام للمنظمة العـربية للتـربية والثقـافة والعلوم ... حلقات الاجتماع معددا الاعمال التى تقوم بهـا منظمـة الالكسـو لمساعدة الكتاب العربى على الرواج والنهوض .

وقد تناول المجتمعون على امتداد ست جلسات متواصلة مختلف مراحل انتاج الكتاب والعوائق التى تحول دون رواجه فى البلاد العربية وبقية انحاء العالم ... متطرقين تبعا لكل ذلك الى التدابير الواجب اتخاذها من طرف المسؤولين على هذا القطاع للرفع من مستوى الكتاب العربى كما وكيفا لخلق مجتمع قارىء فى البلاد العربية ... وقد تداول على منبر النقاش العديد من الخبراء فى شؤون الكتاب ... فقدموا تقارير مفصلة واقتراحات بناءة وفى هذا السياق نوه الروائى السودانى الطيب صالح مستشار اليونسكو الاقليمى للاتصال فى الدول العربية بالجهد الثقافى للاستاذ محمد مزالى الوزير الاول فى الجمهورية التونسية والاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية.

كما نوه المشاركون من جهتهم بالجهود المبذولة من طرف وزارة الشؤون الثقافية بالجمهورية التونسية لانجاح هذا الاجتماع شاكرين الاستاذ البشير بن سلامه على الحفاوة والعناية التى أولاها اياهم. وقد وجه رئيس الاجتماع برقية شكر وامتنان الى فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية والاستاذ محمد مزالى الوزير الاول عبر لهما فيها باسم المشاركين عن شكرهم وامتنانهم متمنين لفخامته موفور الصحة ليحقق للقطر التونسى الشقيق ما يصبو اليه من رخاء وازدهار...

واما التوصيات فقد تركزت بالخصوص على تنفيذ الاهداف الستة التى استخلصتها الندوة والمتمثلة أساسا فى وضع استراتيجيات وطنية للكتاب :

الاعتراف بأن صناعة الكتاب صناعة حيوية ، دمج التكنولوجيات الجديدة فى مختلف مراحل انتاج الكتاب ، تهيئة بيئة مواتيه للقراءة فى جميع أنواع المجتمعات وعلى جميع مستوياتها ، الحث على التعاون الدولى من أجل اقامة قدرات وطنية لانتاج الكتب ، تكثيف تداول الكتب على الصعيدين الدولى والعربى ...

وقد سعى المشاركون فى توصياتهم الى تبسيط هذه الاهداف ونجزئتها الى ثلاث خطط محددة جغرافيا ... المستوى القطرى ، المستوى العربى والمستوى الدولى.

● **السنما فى افريقيا والعالم :**

« السنما التونسية للهواة هى الاكثر أهمية فى افريقيا » ... « السنما التونسية عرفت تطورا فى السنوات الاخيرة » « بعث صندوق لدعم الانتاج القومى ، يتكون من 6 % من مداخيل الافلام الاجنبية وتشرف عليه وزارة الشؤون الثقافية ، وفتح الساتباك سنة 1983 لمخبر ألوان ، مكنا من تحسين

وضعية السنما التونسية » . هذه بعض الشذرات الواردة بمقال عن السنما التونسية ... نشر بعدد شهر افريل من مجلة « جون افريك بلوس » والخاص بالسنما فى افريقيا والعالم ... التأليف وضعه الناقد السنمائى التونسى فريد بوغدير . وتعرض فيه بالتحليل ... والمتابعة والنقد الى العديد من المحاور والمسائل التى تتعلق بالسنما فى مفهومها الشامل والسنما الافريقية بشيء من الخصوصية . « السنما العالمية وتاريخها ، قرن من تاريخ السنما ، كيف نصنع فلما من ألفه الى يائه ، الممثل ... حياة نجم أم حياة كلب ؟ السنما الافريقية ..بلدا بلدا » ... التأليف يعتبر وثيقة سنمائية هامة ومدعمة بالمستندات والصور .. وضعها الاستاذ فريد بوغدير .. بحنكة الناقد .. ومنهجية الاستاذ الجامعى ... وخصوصية السنمائى المحترف .. يقول الناشر فى مقدمة هذا العدد : « عندما نقرر معالجة محور ما فى « جون افريك بلوس » نتساءل فى بعض الاحيان عمن يمكن ان يكون المؤلف المثالى .. ونبقى فى تردد ... لكن هذه المرة لم يجد شيء من هذا القبيل ، فاذا ما فكرنا : سنما فى « جون افريك بلوس » وخاصة سنما افريقية... نفكر فى فريد بوغدير...فهو الوحيد تقريبا الذى يمكن له التباهي بمشاهدته لجملة أفلام السنما الجديدة المستقلة فى افريقيا والعالم العربى منذ الستينات » .

● **جائزة الابداع الأدبى :**

ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اذ تسعى الى تشجيع الانتاج الأدبى العربى فى شتى مجالاته ، وتولى اهتماما خاصا بالأدباء العرب الشبان الذين يبدعون فى ميادين الأدب المختلفة ، تعلن عن تقديم جائزة ، باسم جائزة (الابداع الأدبى) . لأفضل عمل يكتبه أديب عربى شاب فى (المقالة الأدبية)

وذلك وفق الشروط التالية :

1) قيمة الجائزة (4.000) أربعة آلاف دولار أمريكى تقدمها المنظمة للفائز.
2) ان العمل المرشح للجائزة يجب أن يكون منشورا خلال الفترة الزمنية 1982/1984 ، ولا يقبل العمل المنشور قبل هذه الفترة ، ولو قدمه صاحبه فى طبعة جديدة خلال المدة المحددة .
3) لا تقل صفحات الكتاب عن مائة صفحة من القطع المتوسط .
4) لا يزيد عمر المؤلف عن أربعين سنة .
5) العمل المرشح لنيل الجائزة يجب ألا يكون قد نال جائزة أدبية من قبل.
6) لا تقبل الاعمال المكتوبة باللغة العامية .

7) يرسل صاحب العمل سبع نسخ من مؤلفه مرفوقة بنبـذة مختصرة عن حياته وانتاجه الأدبى .

8) تصل الاعمال المرشحة للجائزة الى المنظمة فى موعد أقصاه نهاية شهر سبتمبر ـ ايلول 1984 .

9) ترسل الاعمال الى العنوان التالى :
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم (ادارة الثقـافة) (جـائزة الابداع الأدبى) ص ـ ب 1120 ـ تونس .

● جائزة « الأخلاء » للنقد الأدبى :

من أجل الاضافة ودعما لمسايرة النقد الادبى لرحلة الابداع تنظم « الأخلاء » سنويا وابتداء من 1984/5/1 مسابقة فى النقد الادبى رصـدت لهـا جـائزة بقيمـة (ألـف دينـار)

الشـروط :

1 ـ الدراسات النقدية المقدمة لنيل الجائزة يجب ان تتناول عملا قد تم نشره فى « الأخلاء » : (مجموعة شعـرية أو قصصية أو ابداعية أو دراسيـة) .

2 ـ ترسل البحوث النقدية لمدير مؤسسة « الأخلاء » ص. ب : 135 تونس 1015 فى ثلاثة نظائر مرقونة قبل موفى شهر جانفى من كل سنة .

3 ـ تنشر كل البحوث المشاركة فى الجائزة فى « الأخلاء » عدد فيفرى من كل سنة ويشارك القراء فى اختيار البحوث الفائزة (التفاصيل فى عدد فيفرى) .

4 ـ تسند الجائزة الى ثلاثة بحوث تحصل على أغلبية الاصـوات مـوزعة كمـا يـلى :

أ) البحث الأول : 500 دينار تونسى أو ما يعادلها فى الخارج .
ب) البحث الثانى : 300 دينـار .
ج) البحث الثالث : 200 دينار .

5 ـ يقع توزيع الجوائز فى مهرجان « الأخـلاء » للشعـر العـربى الحديث بالجريد فى أول مـاى من كل سنة مع شهادة خاصة من « الأخـلاء » لكـل فائـز .